ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم جمعة ـ الثمن : 3 دراهم

السنة 33 ـ العدد 920 الجمعة 20 ربيع الأول 1421هـ ـ الموافق 23 يونيو 2000م

كلمة العدد

مع إفريقيا المسلمة في ذكرى المولد النبوي

منذ أن بعث الله سيدنا محمد ﷺ مبشرا ونذيرا وهاديا إلى الله وسراجا منيرا لكافة بني البشر على اختلاف ألوانهم وألسنتهم والناس تدخل في دين الله زرافات ووحدانا.

وكانت شمال إفريقيا على موعد مع هذا الدين بعد أقل من أربعة عقود على بداية الدعوة، حيث تشربتها عقول المغاربة ونشطوا لتبليغها في كل مكان.

وكان لذلك التعلق الأثر الكبير في استقبالهم حفيد رسول الله ﷺ المولى إدريس وأمثاله من آل البيت الطاهر والوقوف خلفه ومبايعته على الإمامة العظمى لقيادتهم وتوحيدهم للدفاع عن بيضة الإسلام ونشر تعاليمه في الآفاق، ولم يكن ذلك لغرض أو مصلحة دنيوية إنما كان للارتباط الكامل بالعترة النبوية التي اجتمع عليها حكماء المغرب، وشيوخه في ذلك الزمان وهو ارتباط ينطلق ليثبت الإسلام في هذه البلاد ويؤصل جذوره، ويرفع بنيانه عاليا وينطلق إشعاعه في بقية أرض الله شمالا وجنوبا.

وقد جاءت زيارة الرئيس المالي الشيخ ألفا عمر كوناري لبلادنا بدعوة كريمة من جلالة الملك محمد السادس أعزه الله في شهر ربيع الأول، وفي عيد مولد رسول الله ﷺ لتؤكد الروابط المتينة التي تجمع بين المملكة المغربية والدول المجاورة في الجنوب وفي مقدمتها جمهورية مالي المسلمة.

وكما قام المسلمون الأوائل في عصر الخلفاء الراشدين بالدعوة إلى الله في شمال إفريقيا وفتحها للإسلام، انطلق أحفاد موسى بن نصير وطارق بن زياد وإدريس الأكبر على نفس المنهج في الدعوة الإسلامية، ونشر دين الله في إفريقيا.

وقد جاءت الخطب التي ألقاها كل من جلالة الملك محمد السادس نصره الله، والرئيس المالي ألفا عمر كوناري لتوكيد هذا التاريخ المشترك للمملكة المغربية وللشعوب الإفريقية انطلاقا من باب تامبوكتو.

إن الدعوة الإسلامية كانت في أغلب أحوالها تقوم على الإقناع بالقول والتطبيق في العمل، فوفود التجار المسلمين الذين كانوا يتجهون شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، كانت تجارتهم مع الله في نشر تعاليم دينه أكثر ربحا من أكياس الذهب أو الملح أو الأدوات التجارية الأخرى.

يقول جلالة الملك محمد السادس في خطابه أمام رئيس جمهورية مالي يوم 12 ربيع الأول 1421 (15 – 6 – 2000) «إن قوة روحانية الإسلام وتعاليمه السمحة جعلت القوافل التي كانت تربط بين سجلماسة بالمغرب وتمبوكتو وديجيني بمالي لا يقتصر على نقل منتوجات تجارية فحسب، بل كانت تنقل أيضا كل الحكمة الإفريقية وكل تلك الأخلاق الفاضلة، وقيم العدل التي جعلت من إسلام إفريقيا على حدود عالم كان قد بدأ يتجرد من إنسانيته إسلاما كثير التقوى والورع متميزا بدرجة فريدة من النبل والتسامح».

هكذا يسجل أمير المؤمنين صورا من العلاقات المتينة من التاريخ الإسلامي بين المغرب ومالي، وبين الشمال والجنوب في إطار الروابط الإسلامية التي تتجاوز الحدود وتترسخ في القلوب.

ويعبر الرئيس المالي في جوابه على الخطاب الملكي السالف الذكر بنفس التوجه الوحدوي في الفكر والتصور في إطار العلاقات الإسلامية التي تسمو فوق جميع الاعتبارات، يقول الرئيس المالي بارك الله فيه: «إن هذا الطريق الذي نسعد بسلوكه اليوم هو الطريق الذي مر منه تجارنا وقطعه مثقفونا وجنودنا وعائلاتنا المرموقة والمغمورة منذ قرون، وكما قلتم جلالتكم منذ الأزل، فمنذ فجر التاريخ والطريق الغربية للقوافل تعمل بين منطقة سوس والنيجر ومنذ ظهور ديننا المشترك الإسلام كان هذا الحبل السري بين المغرب الأقصى وبلاد السودان دائما – وتجاوزا للأساطير – شاهدا على حياتنا في الصحراء».

وهكذا يتجدد التواصل بين المغرب وإفريقيا على هدى من الله، وإعلاء لكلمته، وتحت راية شريعته، ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ صدق الله العظيم.

ميثاق الرابطة

رواية الطائر السجين أو الأمل المنشود

محمد الخامس من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر

محاورة شعرية بين عصفور وجماعة من الأطفال، قدمت أمام صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن- الحسن الثاني طيب الله ثراه- في الحفل الوطني الكبير الذي أقيم بمناسبة تدشين المدرسة الإسلامية الحرة - مدرسة عبد الله كنون - يوم 10 أبريل 1947. (رحم الله الجميع).

طفل يناجي العصفور:

غن ياعصفور واسجع
في ظلال الغصن وارتع
بسرور أنا أسمع
ذلك الصوت الرخيم
أنا ألقي لك حبا
وأسوق الماء عذبا
فلتباعد عنك رعبا
أيها الضيف الكريم

العصفور:
لي ثمار طيبات
في غصون ناضرات
وعيون جاريات
ماؤها عذب جميل

الطفل:
أيها العصفور قل لي
من يقدك في الرحيل
قد تضل الطرق فاسمع
هاهنا قفص جميل

العصفور:
إن ربي ليس ينسى
لا الكبير ولا الصغير
فهو هادي كل طير
فوق سهل أو غدير

الطفل:
أيها العصفور قل لي
في الشتاء أين السبيل
في الشتاء برد ورعد
فيه الامطار تسير

العصفور:
في الشتاء أذهب حتما
أبتغي الدفء الوثير
فإذا عاد الربيع
جئت مسرورا أطير
غابة ربي غايتي
والعيش فيها مطلبي
قد طاب فيها مطعمي
وراق فيها مشربي

جماعة الأطفال:
أيها الطائر أهلا
بمحياك وسهلا
فقت كل طير حسنا
يالله شكلا بديع

العصفور:
كيف تحلو لي
إنني عبد أسير
ليس لي إلا الممات
آه لو كنت أطير

جماعة الأطفال:
في حمانا لست تخشى
من أذى جوع يضير
عندنا ما تشتهيه
من غذاء وبذور

العصفور:
قد براني الله حرا
مسرحي بين الرياض
فارحموني إن رأفتم
أرسلوني في الغياض

جماعة الأطفال:
قد رحمناك فبادر
طائرا حيث تشاء
واذكر الإحسان غرد
شاكرا رب السماء

قام بأداء هذا الحوار: قمر برادة - كنزة العشاب- محمد شداد- محمد بخات.

المؤمن الحق

قصيدة للشاعر الفيلسوف محمد إقبال:

المؤمنون على عنا ية ربهم يتوكلون
لا خوف يفزعهم ولا هم في الحوادث يحزنون

لو مر أضعفهم على فرعون يجتز الرؤوسا
أراك في الإفصاح ها رونا، وفي الإيمان موسى

إني رأيت الخوف في الد دنيا عدوا للعمل
هو مطفئ نور الرجا ء، وسالب كنز الأمل

يرمي الإرادة بالتزل زل والعزيمة بالخور
ومن احتواه الخوف لا يجني من الروض الثمر

المؤمنون لهم من الـ مولى أمان الأولياء
بلغوا الكمال عن الـ دنيا العريضة أغنياء

خطبة منبرية

الحياء

الأستاذ:
مصطفى موهري

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله عليها نحيى وعليها نموت- وفي سبيلها نجاهد وعليها نلقى الله، وبعد يقول رب العزة سبحانه:

﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات ومافي الأرض، مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولاأكثر إلا هو معهم أين ماكانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة. إن الله بكل شيء عليم﴾.

أصحاب الفطر السليمة يغشاهم الحياء. ويتحرجون من الكلمة أو الفعل المشين، إذا اطلع عليهم من يتحرجون من نظره.

والأولى بالتعظيم أن يستحى منه هو الله رب العالمين.

فما الحياء؟ ولماذا ؟ وما أنواعه؟ وكيف حفظ الإسلام للمرأة حياءها؟

- أما الحياء لغة فهو مأخوذ من الحياة. وفي الاصطلاح كما عرفه العلماء هو انقباض النفس عن القبائح. وقيل: هو أن لا يفتقدك الله حيث أمرك ولا يجدك حيث نهاك. وينبغي أن تعلم أن الحياء من خلق الله- عز وجل- يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام:

«إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا».

الحياء من خلق المصطفى عليه الصلاة والسلام- فلقد كان أشد حياءا من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرف في وجهه.

ويبقى أن تعلم أن الفرق بين الحياء والخجل عظيم، ذلك لأن الحياء فعل كريم وفضيلة، ومعناها هو أن يترفع العبد عن المعاصي والآثام. وأما الخجل فهو عيب ومنقصة. لشعور الإنسان بقصوره أمام الآخرين. فلا يطالب بحقه لخجله. ولا يقول كلمة الحق لخجله قال ولا يتحدث أمام الآخرين لشعوره أن من معه هم خير منه. وعلى الجرأة ربى السلف الصالح أبنائهم.

ثم ينبغي أن تعلم، أن باعث الحياء إما أن يكون هو الله وإما أن يكون الناس، والعبد إذا لم يستحي من الله ولم يستحي من الناس كان هو والبهائم سواء.

وأما الحياء؟ فلابد من الحياء، لأن العبد إذا رزق الحياء رزق الفضائل ورزق الخلق الحميد، فابن القيم، رحمه الله، في كتابه مفتاح دار السعادة يقول : الحياء هو من أعظم الأخلاق وأكرمها، ذلك لأنه مصدر الفضائل، فالولد بر بوالديه بسبب الحياء، وصاحب الدار يكرم ضيفه بسبب الحياء، والعبد يفر بالموعد بسبب الحياء أيضا. لذا عند ما سئل المصطفى عليه الصلاة والسلام: هل الحياء من الدين ؟ فقال عليه الصلاة والسلام «بل هو الدين كله».

وإذا فقد العبد الحياء ما الذي يكون؟ وإذا فقد العبد الحياء فلا تراه إلا وقحا بليدا لايبالي بمشاعر الآخرين ليس عنده من وازع يمنعه عن الوقوع في الإثم أو عن الوقوع في الدنايا لا يعرف ربا ولا دينا، ولا يعرف عرفا ولا يعرف خلقا.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ماشئت».

لذا كان في إسلامنا أن فاقد الحياء لا غيبة له، يجوز لك أن تذكره بأفعاله السيئة لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

«من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له». وقال عمر بن الخطاب: «لاحرمة لفاجر». وقال الحسن البصري رضوان الله عليه: «ثلاثة لا غيبة لهم: المبتدع والفاسق المجاهر بفسقه، والحاكم الظالم، ثلاثة لاحرمة لهم. ولا ما يقال في حقهم يسمى غيبة».

لأنهم فقدوا الحياء من الله وفقدوا الحياء من الناس...

وأما أنواع الحياء، فأكرم الحياء. وأعظمه هو الحياء من الله،عز وجل، وهو في ثلاثة مواضع. الموضع الأول من الحياء: أن نقابل إحسان الله بالإساءة ونعمه بالجحود. يقول الله تعالى في الحديث القدسي، «أنا والجن والإنس في نبأ عظيم. أخلق ويعبد غيري. وأرزق ويشكر سواي، أتحبب إليهم بالنعم ويتعدون عني بالمعاصي خيري إليهم نازل وشرهم إلي صاعد».

وقد جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم يقول له: إن نفسي تراودني عن المعصية ولا أستطيع كبح جماحها فماذا أفعل؟

قال : إذا وفيت بخمس فاعص الله كيف شئت، قال: وماهي؟

قال: إذ أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه، ولا تنام على أرضه ولاتعصه بين عينيه، قال: وكيف يكون هذا وكل مافي الأرض لله والأرض ملكه والسماء سماؤه. وفي أي ركن أكون منها فالله تعالى يعلم السر وأخفى. قال: أما تستحي أن تأكل من رزقه وتنام على أرضه وتعصه بين عينيه.

قال : إذا أردت أن تعصي الله وجاءك ملك الموت فلا تذهب معه، أو جاءتك زبانية العذاب فلا تذهب معهم، قال: وكيف يكون هذا؟ والله يقول ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾، ويقول: ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون﴾. قال: فإذا علمت قدر نفسك لا تستطيع أن ترد ملك الموت أو زبانية العذاب. فلم المعصية؟ فكانت توبة بعد ذلك نصوح.

ومما ينبغي لزوم الحياء به بينك وبين الله تعالى هو أن لا تدجر عند البلاء وتنسى قديم إحسان الله إليك.

ذكر الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى: أن أيوب، عليه السلام، عندما فقد المال وفقد الولد وفقد عافيته. قالت له زوجته: أنت نبي الله، فلو سألت الله أن يرفع عنك البلاء لفعل، فقال لها أيوب عليه السلام : كم مضى علينا ونحن في عافية؟ قالت: ستين سنة. قال : والله إني لأستحيي أن أسأل الله رفع البلاء، ومابلغت في البلاء ما بلغته في العافية. من حياء العبد مع الله عز وجل أيضا، أن يحفظ العقل من أن يفكر بأمر إجرامي، أو معصية أو أن يدخل فكرة منحرفة إلى عقله. وأن يحفظ جوفه عن الحرام، قال النبي، عليه الصلاة والسلام، «استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: وكيف نستحيي من الله حق الحياء؟ قال : أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وماحوى وأن تذكر الموت والبلا. فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء».

ومن الحياء، أيضا، حياء العبد من نفسه، وينبغي أن تعلم أن صاحب الحياء يحرص على أن تكون سمعته بيضاء ناصعة ولا تمس بشائبة أبدا.

أخي الكريم، أختي الكريمة، يجب أن تعلم، أيضا، أن صاحب العفاف يتأى بمائه على أن يضعه إلا في الموضع الكريم الذي أذن الله تعالى به. لأنه يعلم حديث النبي ﷺ «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة يضعها رجل في رحم لا يحل له». وهذا يوسف عليه السلام. وقد دعته امرأة العزيز وغلقت الأبواب وقالت: هيت لك، قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي. يدوس على شهوته بقدميه وفي واقعنا متقاعدون قد بلغوا من الكبر عتيا قد جعلوا من دور العاهرات الموجودة في مجموعة من الأماكن أوكارا لهم. ولا يأتون إلى دورهم إلا في المناسبات، وآخرون يطاردون النساء بسياراتهم في الطرقات ولا يستحيون.

يقول، عليه الصلاة والسلام : «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين» ويقول، عليه الصلاة والسلام : «إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار».

من حياء العبد في نفسه أن يحفظ عورته في الحمامات مثلا. لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله حي ستير يحب الحياء فإذا اغتسل أحدكم فليستتر».

ومن الحياء أيضا- حياء العبد في مجلسه. وينبغي للعبد في مجلسه أن يتكلم بالخير أو يصمت. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت». أما فاقد الحياء فإنه لا يجد ألذ من أن يتحدث بالذي يكون بينه وبين أهله. قال النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد صلى بالناس فالتفت فقال : «أيكم الرجل الذي إذا أراد أن يأتي أهله، أغلق بابه وأرخى ستره، ثم جامع أهله ثم يخرج إلى الناس يقول فعلت بأهلي كذا وكذا. فسكت القوم فجثت امرأة على ركبتيها وقالت والله يارسول الله إنهم ليتحدثون وإنهن ليتحدثن. فقال عليه الصلاة والسلام : كل أمتي معافى إلا المجاهرون». ومن المجاهرة أن يعمل العبد العمل بالليل ويصبح وقد ستره الله، فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا بات يستره الله واصبح يفضح نفسه. أتدرون ما مثل من يفعل ذلك. إن مثل من يفعل ذلك مثل شيطان أتى شيطانة في قارعة الطريق وجامعها والناس ينظرون إليهما ويقول ﷺ «كل أمتي معافى» أي معفى عنه إلا المجاهرون.

ومن الحياء، أخيرا، الحياء مع الوالدين وذوي الفضل والعلم. أولا: مع الوالدين رأى أبو هريرة، رضي الله عنه، غلاما يمشي مع رجل فقال: «ياغلام من هذا؟ قال أبي، قال: اسمع! لاتمش أمامه ولا تجلس قبله ولا تنادي باسمه».

ثانيا: مع العلماء: قال النبي، صلى الله عليه وسلم، «العلماء ورثة الأنبياء»، يقول عليه الصلاة والسلام : «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة وتواضعوا لمن تعلمون منه». وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وبعد، فأما كيف حفظ الإسلام للمرأة حياءها؟ فينبغي أن تعلم أن أجمل ما في المرأة حياؤها وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾. أعداء الله تعالى علموا أن أكرم ما في المرأة حياؤها فوجهوا إلى هذا الحياء السهام وتاجروا بأجساد النساء واعراضهن واصواتهن وصورهن وجمالهن، لقطات الاشهار لخير دليل على الاستغلال الذي استغلت به المرأة حتى أصبح المثل السائد والذي يقول حبة عنب تساوي مائة امرأة.

حفظ الإسلام للمرأة حياءها يوم أن فرض عليها الحجاب وحرم عليها التبرج وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾.

أيها الاخوة والأخوات البررة يقول الله في كتابه الكريم. ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾. هذه الآية نزلت في أحد الكافرين من قريش كان يتحدى الله ويتحدى الرسول صلى الله عليه وسلم، فالله هنا في هذه الآية يقول : أما يستحي هذا الكافر من هذا الشرك ومن هذا الإيذاء، ألم يعلم بأن الله يرى ؟ الله قيوم السماوات والأرض الذي خلقه والذي يطعمه ويسقيه ألم يعلم بأن الله يرى؟ ومن استشعر بأن الله يرى فهو يستحي من الله رب العالمين، أن يراه في ذنب أو معصية كما يستحي الإنسان من رجل كبير السن له مقام جليل في نفسه، رآه في موقف يجب أن لا يراه فيه. والدك الذي تحبه وتحترمه إذا رآك في موقف غير أخلاقي كيف يكون شعورك؟ ألا تحس بالحياء؟ الا تحس بالاحراج؟ هذا بين الناس والناس، فكيف بين الله وبين مخلوقه. ألم يعلم بأن الله يرى؟ ذلك الذي يترك الصلاة ويمنع الزكاة. ويفطر في رمضان ويهجر بيت الله. ويحكم بغير ما أنزل الله ألم يعلم بأن الله يرى؟. ذلك الذي ينهب الأموال ويظلم زوجته ولا يعدل بين أولاده ويؤذي جيرانه ألم يعلم بأن الله يرى؟

ذلك الذي يغتاب المسلمين ويؤذي الآمنين ويضايق كل من التزم بالدين، ألم يعلم بأن الله يرى؟

ذلك الذي يتساهل في ترك زوجته وبناته يذهبون إلى شواطئ البحر شبه عاريات، ألم يعلم بأن الله يرى؟

ذلك الذي يجلس في الطرقات والمقاهي يتتبع عورات الناس ويترك أبناءه وزوجته بدون عناية ورعاية، ألم يعلم بأن يرى؟

ذلك الذي يضيع أبناءنا ويغشهم في تعليمهم وينهب أموالهم بالمزايدات وبطرق غير مشروعة، ويرهق كاهل الآباء المساكين الذين لاحول لهم ولاقوة، ألم يعلم بأن الله يرى؟

ذلك وذلك وذلك والقائمة طويلة ألم يعلم بأن الله يرى؟

هذه الآية لها وقع خاص في نفوس بعض الناس المتقين الذين يراقبون الله عندما يستشعرون بأن الله يراهم لذا يحرصون أن لا يكونوا في موقف نهاهم الله عنه وأن لايفتقدهم في موقف أمرهم به.

ويقول سبحانه ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾. ويقول ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ اللهم إنا نتوجه إليك وأنت في عليائك أن تصلح أحوالنا وتهدينا سواء السبيل وتنفعنا بما سمعنا إنك سميع الدعاء.

مولد الرسول بداية عهد جديد

الدكتور
محمد أبو الفضل

أخرج ابن إسحاق وابن جرير فقال ابن إسحاق :

وحدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن سعدان الكلاعي ان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟ قال نعم: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في ابني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا، نرعى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا، ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ثم قال احدهما لصاحبه: أنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم فقال دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها.

زاد ابن جرير الطبري: ثم أخذوني وقبلوا ما بعيني ثم قالوا لم ترع يا حبيب لو تعلم ما يراد بك من خير لقرت عينك.

يتضح من خلال هذا النبأ العظيم الذى أخبر به الرسول الكريم، بعض صحابته من الرعيل الأول الذين كانوا يحيطون به إحاطة السور بالمعصم قصة مولد النور الأعظم، المتمثل في دعاء إبراهيم الحليم:

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ سورة البقرة الآيتان: 127 - 128.

ذلكم النور الذي كان يظهر بين الحين، والحين، مبشرا برسالة سماوية جديدة فيها خير الحياة والوجود، لا بد أن يظهر مرة أخرى على الأرض ليبدد الظلمات التي بدا بعضها فوق بعض، ويحارب الأوهام والضلالات، التي استولت على الأذهان استيلاء على الغربان على جثة صنعها الموت، وبمحو ما ران على القلوب من أباطيل وأساطير وشعوذة وجمود وجهل مطبق وعصبية أثيمة كاذبة، إنه النور السماوي العظيم المرتقب.

وذلك الناموس الذي كان ينزل على إبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء من قبل لابد أن ينزل على رسول كريم، من جديد، ليدعوا الناس الى المثل الأعلى والأخلاق الفاضلة، والآداب السامية الرفيعة، وأفضل الشرائع ومرت الأيام تمشي بتوءدة، وهي تمشي بطيئة مسرفة في بطئها والظلام يشتد، والظلم والاستبداد ينتشر، والوثنية والشرك يصبحان عقيدة الناس في الحياة، والإعراض عن الله أصبح شريعة كل مخلوق وتوالت البشارات تجدد الأمل، وتحيي الرجاء، وتؤمن الناس على مستقبل الإنسانية، وتنبئهم بقرب بزوغ نور الفجر الجديد.

بهذا كان أهل الكتاب يتحدثون، وبه كانوا يؤمنون، تصديقا لبشارة الأنبياء والكتب السماوية بظهور إمام الأنبياء وخاتم المرسلين:

﴿وإذ قال عيسى ابن مريم: يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ سورة الصف الآية رقم 6

وللرسول أسماء متعددة محمد، وأحمد، والماحي...

لابد أن ينهار ملك كسرى، وقيصر، لأنه يقوم على أسوأ النظم والشرائع والعقائد، ولأن عهد استعمارها للعالم لا بد أن ينقرض، والحرية الكبرى من يصد تيارها الزاخر القوي المندفع بقوة الله عز وجل.

وهؤلاء الباحثون عن الحقيقة الكبرى: ورقة بن نوفل الأسدي، وزيد ابن عمرو بن نفيل العدوي، وعثمان بن الحويريث الأسدي. وعبيد الله بن جحش يجتمعون في الجزيرة العربية، في يوم عيد لهم، فيقول بعضهم لبعض تعلمن والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر بطوف به لا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟يا قوم التموا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء... وذهبوا يطوفون في البلاد يلتمسون الحنفية دين إبراهيم...

وكان زيد يسند ظهره الى الكعبة ويقول: يا معشر قريش: والذي نفى زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: والله لو أني أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحلته.

وفي يوم من أيام الله، في مكة المكرمة، في شعب بني عبد المطلب، في صباح يوم خالد ميمون ولد مبعث النور محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، تسبقه إرهاصات، وتحف بمولده معجزات وكرامات، وتسير معه يوما بعد يوم بشريات وأي بشريات وبحفظ الناس ما ذاع من ذكريات مولده ونشأته الكريمة العطرة وبدأ النور الإلهي يظهر في الأفق، وأخذ الناموس السماوي يستعد لآخر رحلة له إلى الأرض.

وشب الغلام نبيلا شريفا، وسيدا سريا ذكيا، ولقي قومه وقوم مرضعته النماء والخير على وجهه الأغر.

وقد مت به حلمة السعدية على أمه بعد فصاله، ترجو أن تطيل لبث فتاها عندها، متعللة بوباء مكة، فقبلت آمنة بنت وهب ورجعت بالغلام الرضيع الزكي النقي يعلوها الفرح والاستبشار.

وبعد شهور مرقت من السحاب، كان محمد الغلام يلعب ومعه ابن حليمة السعدية خلف الرجال، وبعد قليل جاء أخوه يشتد، وهو يقول: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان، فأضجعاه فشقا بطنه، فهما يسطانه، فخرجت حليمة وزوجها نحوه فوجدته قائما، متنقعا وجهه فالتزمته هي وزوجها وقالت: مالك يا بني؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا شيئا لا أدري ما هو؟ فتخوفت عليه حليمة، وقدمت به على أمه، وقصت عليها القصص، فقالت آمنة: إن لبني لشأنا، أفلا أخبرك خبره؟ قالت حليمة: بلى، قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي به قصور بصرى من أرض الشام.

ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه الى السماء، دعيه عنك، واتطلقي راشدة.

وما أصدق ما يقول محمد ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى.. ورأى بحير الراهب محمدا الغلام، في بصرى بأرض الشام، مع عمه أبى طالب، فرأى المعجزة الكبرى قريبة منه، فأخذ يحدث محمدا ويسأله ثم قال لعمه: إذهب بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه، فإن له شأنا عظيما.

وسمع ورقة بن نوفل ما كانت تتحدث به خديجة بنت خويلد عن محمد وشأنه. وكان عالما بالديانات والكتب السماوية فقال لها: لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه.. وجعل ورقة يستبطئ مرور الأيام ويقول: حتى متى رسالة الله؟

مولد النور والأمل...

هذه القصيدة ألقيت في الحفل الذي نظمته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط سنة 1420هـ.

الأستاذ
محمد الروكي

هز الفؤاد شعور عارم ثمل
ياواهب الشعر أمطرني بوابله
وربة الشعر صدتني مجافية
هجرتها مدة كي لا أعود لها
حتى إذا خلدتني في جهنمها
ياربة الشعر ردي للقريض فمي
أريد مدح رسول الله محتفلا
الكون أشرق من ذكراه مبتهجاً
وريح مكة قد هبت تضمخنا
يايوم مولده عمت بشائره
ميلاده مولد للنور أخرجنا
ميلاده نفحة أذكت جوانحنا
ميلاده أنقذ الدنيا برمتها
ميلاده رد للإنسان فطرته
ميلاده صفحة بيضاء ناصعة
ميلاده نقلة بالناس صاعدة
ولدت يامصطفى والناس مجدبة
لما ولدت تعالى الكون مبتهجاً
والأرض هز رباها وابل هطل
جاء الحبيب يحيينا بطلعته
وأرضعته لبان الحب امنة
وشق عن صدره جبريل طهره
لم يقترف مرجاً، لم يأت فاحشة
أعده الله محفوظاً بأعينه
وخصه الله بالحسنى، وأرسله
وبلغ الدين للدنيا تهاميه
ومطم الشرك بالقرآن يسمعه
حتى غدت مكة الغراء طاهرة
وأصبحت طيبة الزهراء قاعدة
صلى عليك إلهي يا سنا قمر
أنت الحبيب رسول الله سيدنا
بعثت فينا وشمل الناس مفترق
لو أنفقت يدك الآلاف ما ائتلفوا
بعثت بالدين يبنينا ويجمعنا
بعثت بالعدل بين الناس لا امرأة
بعثت يامصطفى في أمة وسط
بعثت بالرفق والتيسير لا حرج
بعثت بالحب يسري في مشاعرنا
أقمت فينا تربينا وتعهدنا
وسرت فينا بمنهاج حقيقته

لكنها عجزت عن وصفه الجمل
فالفكر أجدب.. والألفاظ تختبل
أن قد هجرت رباها.. رحت أنتقل
فعذبتني عذاباً ما به قبل
رجعت هاأنذا أدعو وأبتهل
ليسمع السهل مني اليوم والجبل
بعيد مولده فالكل محتفل
والطير غرد، في ألحانه الأمل
بالمسك يقطر منه البشر والجذل
واستقبلته بها الأملاك والرسل
من ظلمة الجهل في أعماقها حبل
ورحمة لعباد الله تشتمل
من شرعة الغاب فيها الناس تقتتل
وما عليه ذوو الألباب قد جبلوا
فيها المكارم والأخلاق والمثل
إلى مدارج بالرحمن تتصل
فأخصبوا بك بعد الجدب ما محلوا
والنجم هلل والأفلاك تبتهل
فازينت وربت من فوقها حلل
وفي تحيته الأنوار والظلل
ونسوة ساقها من أجله الأزل
فليس منه لغير الله منتشل
لم يغش أندية ينتابها زلل
منذ كان طفلاً إلى أن صار يحتمل
للعالمين، فأدى... ما به كلل
عناية الله محفوفاً به الأمل
غضا فينبت منه الوعي والوجل
من كل ما دنسته اللات أو هبل
للدين فيها رسول الله والنزل
أزاح ملكة ليل، فهو مرتحل
وخاتم الرسل تدعونا فنمتثل
فأصبحوا بك صفا رصه العمل
لكنهم بحبال الله قد وصلوا
على المحجة لا تقتادنا السبل
تشكو من الظلم في دنياك أو رجل
أنت الشهيد عليها، منك تنتهل
فكل ما جاءنا في الدين معتدل
فنرتقي صعداً نسمو ونكتمل
من الضلالة يذكي نارها العجل
نور من الله يهدينا فنمتثل

حتى إذا ازينت أخلاقنا وسمت
رحلت للملإ الأعلى على قدر
وقد تركت لنا ما لو نسير به
تركت فينا الهدى لو نستبين به
تركت فينا كتاب الله يوضحه
تركت سيرتك الزهراء تغمرنا
لكن أمتك الشماء قد رجعت
قد آثرت دعة الدنيا وزينتها
فالشمل مفترق والصف منصدع
لهفي عليها قد اساقت مغربة
ترمي بهمتها في آسن عفن
يا أمة الدين ماذا قد دهاك وقد
ياأمة الدين ماهذا الذي صنعت
فالأرض ترشح من آلامها كمداً
هذي ديار بني الإسلام في قلق
والقدس مذ فتحت كانت لنا أبدا
والسلم كانت لعاليها وسافلها
فضمدي الجرح واجتثي منابته
عودي إلى رشدك المعهود واستبقي
لا تحزني أمة الإسلام، لا تهني
واستلهمي هذه الذكرى فطلعتها
واسترجعي ذاتك الكبرى وعزتها
ولا تمدي إلى غير الحبيب يداً
فالخصم خصم وإن أبدى تغزله
يارب أظهر على الأيام أمتنا
واجعل منارتها تمتد في أفق
واحفظ لمغربنا المغوار قائده
سليله الحسن الثاني فدوحته
فانصر به الدين والقرآن واحمهما
وقد به صحوة الإسلام راشدة
وابسط به العدل في الآفاق يحرسها
وارفع به دعوة الإسلام خافقة
حتى نرى دولة الإسلام رافلة
ونلتقي برحاب القدس، رايتنا
فالفرع لابد موصول بدوحته
فاجعله يارب للإسلام جنته
واحفظه في أسرته - قائماً بهما -
واجعل له من ولي العهد قرته
واشمل بعفوك قبراً يستقر به
أمطر عليه من العلياء مغفرة

فالشمل مجتمع، والدين مكتمل
ولا يؤخر مني إن أتى الأجل
لما ألم بنا زيغ ولا حول
لأبصرت كل ما في دربها المقل
حديثك الجامع الوضاء والعمل
بنور وجهك فيها أسوة مثل
إلى الجهالة واستشرى بها الخلل
ومزقتها يد الأعداء والجدل
والحبل منصرم، تزري بها الدول
ترمي أصالتها... فاستنوق الجمل!!
وهي العزيزة!! هذا فادح جلل!!
هابتك قبل جبال الناس والقلل؟!
فيك المعاول والأهواء والنحل؟!
والناس حولك : مقتول ومقتتل
هذي فلسطين قد ضاقت بها السبل
واليوم يعمرها التهويد والدجل
واليوم أسرة الإسلام تنفصل
ياأمة المصطفى، فالجرح يندمل
خيرات ربك فالموعود مقتبل
أنت العزيزة، لا يعتادك الفشل
زوادة يرتوي من مائها النهل
وفكرها قبل أن يغتاله الخطل
ولا تغني لمن في جيدها عطل
لا يلفتنك منه الحب والغزل
واجعل أواصرها بالدين تنفتل
وحبلها برسول الله ينسدل
وبضعة برسول الله تكتمل
أصولها برسول الله تتصل
واجعله سيفاً على الأعداء ينهمل
للنصر يرفل في أعطافها الأمل
ويقتدي به من يأتي ويرتحل
أعلامها تلتقي في ظلها المثل
في العز ترنو لها الأيام والدول
تهتز للحسن الثاني وتنفعل
والأصل بالفرع ممدود ومتصل
مجاهداً تقتفي جهاده الجيل
كبرى وصغرى، فلا ينتابه ملل
ومن أخيه رشيد ما به يهل
أب العروبة : ذاك الفارس البطل
ورحمة ما بدا الإشراق والأصل

ليس بعشك فادرجي...

5/3

غزوة الحديبية والاجتهاد السياسي في الإسلام

فضيلة الاستاذ: محمد الحاج الناصر

قال "الأستاذ" الكاتب -نقلا عن سهيل بن عمرو ما نقض به تصوراته السالفة مما سماه تنازلات قريش: (والله لا تتحدث العرب بنا أننا أخذنا ضغطة بالضم أي بالشدة ولكن ذلك من العام القابل).

وما كنا لنقف عند هذه الفقرة، فليس من شأننا هنا تعيين ما إذا كان موقف قريش في مفاوضات واقعة الحديبية ينطوي -أو لاينطوي- على تنازل أو تنازلات لولا أنها جاءت كاشفة كشفا فاضحا لافتقار "الاستاذ" الكاتب إلى الفهم السياسي، فهو لا يميز بين ما هو تنازل عما يعتبره من يراه متنازلا، حقا أصيلا أو موقفا ثابتا، وبين ما هو تخل عن المناورة المراد منها تمهيد السبيل إلى عدم التضييع لما يعتقد المفاوض أنه حق أو يقرر أنه موقف لا يمكن التخلي عنه بحال، فسهيل بن عمرو (ض) حين سافر لقريش وكان منهم، أدرك وهو بين يدي رسول الله ﷺ أنه يفاوض خصما يعتد بقوته ولا مجال للمناورة معه، فقرر أن يكشف أوراقه دفعة واحدة، فأقسم يمينه تلك التي ساقها "الأستاذ" الفاضل، ليس في الأمر تنازل، غاية ما فيه، اختصار طريق التفاوض من طرف، اقتنع بأنه إن يكن عنيدا، فخصمه أشد منه عنادا، وهذا نمط من أنماط المفاوضات يدركها من يفقه شيئا يسيرا من أبجديات السياسة.

* * *

قال "الأستاذ" الكاتب: (...أمر النبي ﷺ عليا، فقال له: اكتب باسم الله الرحمان الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا، أي الرحمان الرحيم، ولكن اكتب باسمك اللهم، فضج المسلمون وقالوا: والله لايكتب إلا باسم الله الرحمان الرحيم، ولم يسع علي بن أبي طالب غير الإذعان لأمر الرسول، فكتب باسم الله وهو غاضب).

هكذا قال: "الأستاذ" الفاضل، فكتب "باسم الله" وليس صحيحا لكن كتب "باسمك اللهم" كما طلب سهيل بن عمرو ومن معه، فما كان سهيل وحده في ذلك الوفد، وليس وفده هو الوفد الأول، بل سبقه وافدون آخرون، وكانت وفادته الحاسمة، وليس هذا مجال بيان هذه التفاصيل، فكتب السيرة والتاريخ قد أفاضت في تبيانها واستقصائها، لكن الذي يعنينا أن ما أراد "الأستاذ" الكاتب أن يقف عنده، لم يحسن نقله أو تذكره، فالوثيقة استهلت بجملة "باسمك اللهم"

* * *

قال "الأستاذ" الكاتب: (ولم يكن يدرك أن الأمر يتعلق بالشكل لا بالمضمون، فكلمة اللهم أوضحنا مدلولها قبل الآن، وعلى الوزير تذكره كما نبهناه إلى ذلك في حينه).

من ذا الذي لم يدرك أن الأمر يتعلق بالشكل لا بالمضمون، وبعبارة المدارس الثانوية وتلاميذتها وأساتذتها وكتبها، من هو فاعل فعل يدرك؟!.

إذا كانت قواعد اللغة لم يصبها داء العلمانية حتى الآن، فالفاعل ضمير يعود إلى أقرب مذكور بلغة تدريس النحو في المدارس الثانوية، وأقرب مذكور هو علي بن أبي طالب (ض) وهو عربي أصيل فصيح، وهو أقضى الصحابة كما ثبت في الحديث الشريف، ومن كبار ساستهم، ومن أفصح العرب على الإطلاق، ومع ذلك، فهو في تقدير "الأستاذ" الكاتب أن الأمر يتعلق بالشكل لا بالمضمون في المفاضلة عند قريش وعند الصحابة (ض) بين -باسم الله الرحمان الرحيم "وباسمك اللهم". ثم أننا لا نريد أن ندخل مع "الأستاذ" الكاتب في جدل ليس هذا مجاله حول الفرق بين عبارة :باسمك اللهم" وعبارة "باسم الله الرحمان الرحيم"، غير أننا نود أن نلفته إلى شيء بسيط، هو هل تصح صلاته لو قال في افتتاح الفاتحة: "باسم اللهم الرحمان الرحيم" ثم مضى يتلوها.

صحيح أن اللغويين قالوا إن "الميم" جاءت بدلا من ياء النداء في جملة "يا الله"، لكن ما من أحد منهم، قال بجواز استعمال كلمة "اللهم" بدلا من كلمة "الله" مجردة من ياء النداء.

وهنا تنتفي حكاية الشكل وتبرز حقيقة المضمون التي تنسجم مع ما يقوله مؤرخو اللغة العربية من أن "ميم" "اللهم" كانت بدلا من ياء النداء عند عرب الجنوب القحطانيين، ومنها تسربت إلى الحجاز وشاع استعمالها. وكلمة "باسم الله" هي التي استعملها القرآن، والكلمة القرآنية لا يمكن استبدالها بكلمة أخرى أو بجملة أو بجمل إذا أريد الاحتفاظ بمعناها القرآني.

وكلمة "الله" هي لفظ الجلالة، فالتغيير فيها أو في تركيبها مع ما يلحق بها، ليس مما أقره القرآن، وإن ثبت في السنة النبوية الشريفة في كثير من الدعوات المأثورة، القول "اللهم" بدلا من "يا الله".

ثم أن سفراء قريش سهيل بن عمرو ومن معه، لم ينكروا كلمة "الله" لذاتها، وإنما أنكروا إلحاقها بصفتي "الرحمان الرحيم"، وقالوا: نحن لاندري ماهذا، فلم تكن كلمة "الرحمان" بالذات مشهورة لديهم، وإن وردت في بعض من كلام العرب. أما كلمة "الرحيم"، فكانت مألوفة، بيد أنها ليست وصفا خاصا بالله، وكانت جملة "اللهم" هي الجملة المقدسة لديهم، فقبول رسول الله ﷺ استبدال "باسم الله الرحمان الرحيم" ب "باسمك اللهم" تنازل لا مرية فيه، لكنه تنازل القوي عما ليس من صلب القضية المتفاوض عليها للوصول مع الطرف المفاوض إلى ما هو من صميمها، وذلك ما سنبينه بعد حين.

* * *

قال "الأستاذ" الكاتب: (...ومن هنا نستخلص هاتين النتيجتين المتكاملتين:

1-قبول النبي ﷺ بكتابة باسمك اللهم عوضا عن باسم الله الرحمان الرحيم.

2-هذا القبول أمر رباني وراء تنفيذه وعد إلاهي أكيد بالنصر، فيصح أن المختار لم يتصرف من تلقاء ذاته وهو القائل -وجل من حوله غاضب-: أنا عبد الله ورسوله، لم أخالف أمره ولم يضيعني. هذه العبارة المقتضبة البالغة الدقة معروضة أمام كل باحث في كتب السيرة).

ثم راح يخلط ويخبط بكلام لا نحسب عاقلا يحترم نفسه، يبيح لها التجديف بمثله، لأنه تعبير عن حقد أسود، أعمى صاحبه عن إدراك ما تضمنته النصوص التي نقلها وتلك التي أغفلها، فانحرف في فهمه عن دلالتها أو حرف دلالتها عن عمد وسبق إصرار.

لسنا ندري -بصورة قاطعة- مصادر الكاتب الفاضل في السيرة النبوية وفي هذه الوقعة بالذات، والراجح عندنا أنه اعتمد سيرة ابن هشام الذي نقل بعض ما نقل عن الزهري، عن معمر، عن هشام، عن عروة. وهذا الحديث عند أحمد في المسند من طريقين: طريق يزيد بن هارون، عن محمد بن إسحاق تحت رقم:18812. وهي طريق لا يمكن اعتبارها صحيحة إلا لتوافقها مع الطريق الثاني طريق عبد الرزاق، عن معمر تحت رقم:18830. وعند البخاري في الصحيح تحت رقم: 2731و2732 من رواية عبد الله بن محمد، عن عبد الرزاق، عن معمر، بطوله. وعند أبي داوود في السنن، مختصرا تحت رقم:2765 من رواية محمد بن عبيد، عن محمد بن ثور، عن معمر. وعند البيهقي في السنن الكبرى من رواية الحاكم عن القطيعي عن عبد الله بن أحمد، عن أحمد، عن عبد الرزاق. ولما كان اعتماد هؤلاء جميعا، وهم أقطاب الحديث الصحيح، على رواية عبد الرزاق، فنحن نعتمدها كما وردت في المصنف -ج: 5، ص:330 وما بعدها، رقم:9720-

و في هذا الحديث، جاء قول رسول الله ﷺ عندما بركت ناقته القصواء: (والله ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكنها حبسها حابس الفيل).

ثم قال:

(والذي نفسي بيده لا يسألوني- كذا عند عبد الرزاق وأحمد والبيهقي، وعند البخاري "لايسألونني"-خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها".

وهذا نص صريح في أن رسول الله ﷺ لم يكن لديه أمر من الله بما سيعطي قريشا، وإنما كان يتصرف باجتهاده، وهنا نلفت مرة أخرى "الأستاذ" الكاتب إلى أن اجتهادات رسول الله وأحكامه ليست، دائما، من وحي الله، إلا في ما هو من صميم العبادات، أما ما يتصل بالمعاملات والأحوال الشخصية والأقضية والأموال وما شاكل ذلك، فاجتهاداته ﷺ وأحكامه وفتاواه، قد تكون من تصرفه بصفته الإمام الحاكم، وقد تكون بصفته المجتهد المفتي، وقد يقره الله-سبحانه وتعالى- على ما اجتهد أو حكم أو أفتى به، وقد ينزل عليه الوحي ببيان خطئه أو الأولى أن يحكم به أو يجتهده أو يفتي به.

ونحسب "الأستاذ" الكاتب يحفظ منذ صغره قوله -سبحانه وتعالى-:﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ سورة عبس، الآيتان:1-2، في قصة ابن أم مكتوم المشهورة. ولعله يحفظ، أيضا، قوله تعالى في سورة آل عمران، الآيتان: 127-128﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ وذلك في قضية من انهزموا في أحد. ولعله، يحفظ، أيضا قوله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾. سورة الأنفال/ الآية 67-68، في قضية أسرى بدر المشهورة. ولعله يحفظ أيضا قوله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ سورة الأحزاب الآية:37، في قضية زيد بن ثابت (ض) وأم المؤمنين زينب بنت جحش(ض).

وفي السنة النبوية، الكثير مما اجتهد فيه رسول الله ﷺ برأيه في الشؤون العامة والخاصة، ومن أبرزها قضية تأبير النخل المشهورة والمكان الذي أراد أن ينزله في طريقه إلى بدر، فأشار عليه بعض أصحابه بالذي هو خير منه، فنزل عند مشورته وما كان من مفاوضته ﷺ بغطفان على جانب من تمر المدينة في غزوة الأحزاب ثم عدوله عن ذلك لما رفض قادة الأنصار إذ علموا أنه تصرف منه ﷺ وليس أمرا من الله.

والحكمة في ذلك-والله أعلم بأسرار شريعته- أن الله -سبحانه وتعالى- الذي جعل الاقتداء برسول الله ﷺ من أصول التشريع، أراد أن يظهر للمسلمين ولغير المسلمين، حقيقة بشرية رسول الله ﷺ وأنه يخطئ ويصيب، وأنه ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ سورة النجم، الآيتان: 3-4، إذا بلغ عن ربه وأنه في غير حالة التبليغ يجتهد وقد يخطئ وقد يصيب، فليس معصوما من الخطأ، ولكنه معصوم من البقاء عن الخطأ، ومن الاقتداء به ﷺ الاستعداد لقبول التقويم، بل التقريع، أحيانا، عند الخطأ في الاجتهاد أو في التصرف، ولو لم يبين الله -سبحانه وتعالى- خطأ نبيه ﷺ لكان وصفه بأنه بشر يوحى إليه موهما بأنه يمكن للبشر ألا يخطئ، وهذا جانب من جوانب التربية الإسلامية لنفوس الناس.

ولو أن "الأستاذ" الكاتب علم شيئا من هذا -أو تذكره إن كان علمه- لأطال التفكير والتدبر قبل أن يجدف تجديفه العجيب، فيزعم أن رسول الله ﷺ كان يصدر عن أمر إلاهي في تعامله مع سفراء قريش لمعالجة الموقف في واقعة الحديبية. فلو أن رسول الله ﷺ كان يصدر عن وحي عندئذ، لأجاب عمر (ض) إذ

←

راجعه في الأمر، بأنه يتصرف بأمر من ربه، وقوله لعمر: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، فقد كان رسول الله ﷺ يرى أبعد مما يراه عمر (ض) أو غيره من الصحابة، وكان يتصرف طبقا لرؤيته، وقد تكون إلهاما ولكنها ليست بوحي، وكان يقصد بتصرفه وجه الله وطاعته ونصره دينه، لذلك لم يقل لعمر (ض) : إني مأمور أو ما شاكل ذلك، وإنما قال له: (إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري)، فليس في هذه العبارة تصريح بأنه مأمور ولو كان مأمورا بتصرفه ذاك، لكان عليه واجبا، أن يبلغ أصحابه بأنه مأمور بذلك التصرف.

ثم أن عمر (ض) حاج رسول الله ﷺ بعد أن رد أبا مجدل، فرأى عمر في ذلك إعطاء للدنية في الدين، وعمر رجل حرب بطبيعته، وهو بعد إسلامه يعتز بالإسلام، ويراه القوة القاهرة التي لا غالب لها، فلم يستطع أن يستسيغ رد أبي مجدل وقد جاء مسلما مستجيرا يرصف في قيوده وعليه آثار التعذيب المبرح مستغيثا بالمسلمين مما هو فيه، فبلغ الانفعال بعمر (ض) إذ يرى عادة حماية الجار عند العرب وإغاثة المستضعفين ثم ما يراه واجب حماية المسلمين لمن لجأ إليهم مسلما يغفلها -كما تخيل -رسول الله ﷺ فيرد أبا مجدل حتى قال معبرا عن انفعاله:والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ.

ولعمر أكبر العذر، فما كان لأحد غير رسول الله ﷺ و لأبي بكر(ض) و من ذا الذي يبلغ إيمانه إيمان أبي بكر -أن تسكن نفسه إلى مثل ذلك الموقف الرهيب الأليم، ألم يكن من الطبيعي لو كان رسول الله ﷺ مأمورا برد أبي مجدل، أن يصرح بأنه مأمور. ورد أبي مجدل أصعب موقف في مفاوضات صلح الحديبية، وما كان ليقارن به أمر رسول الله ﷺ استجابة لإصرار سفراء قريش بكتابة "باسمك اللهم" بدلا من "باسم الله الرحمان الرحيم" أو كتابة "محمد بن عبد الله"بدلا من "محمد رسول الله «أو كتابة»...على أن تخلوا بينا وبين البيت فنطوف به من العام المقبل"،استجابة لسفراء قريش الذين أصروا على "ألا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة"، أو كتابة "على أنه لا يأتينا من قريش رجل وإن على ديننا إلا رددناه إليهم "استجابة لسفراء قريش أيضا، فكل هذه كانت تهون ويمكن إضافتها، وإن بعسر، في مواجهة رد مستجير مستغيث أجمعت العرب قاطبة على التمدح بحماية المستجير ونصرة الضعيف المستغيث، فكيف وهو مسلم وكيف والوثيقة لم يكن تحريرها قد اكتمل بعد ولوقعها الطرفان.

ما من شك عند من أوتي بصيرة، في أن ذلك كله كان من عمل رسول الله ﷺ واجتهاده في إطار تصرفه من موقع القائد الحاكم في اللحظة التي يتعين فيها على القائد الحاكم الاجتهاد طبقا لما تفرزه تطورات الموقف.

ولعل "الأستاذ" الكاتب كان سيعفي نفسه من الكشف الفاضح عما يضطرب في نفسه -أو أضرم إضراما في نفسه من غيره...-من الحقد الأسود الذي جعله يجدف ذلك التجديف الغريب، البعيد عن الفهم السليم، فضلا عن الاجتهاد المصيب، على حين كان الأستاذ الوزير قد أدرك ذلك كله وأكثر منه وأشد، حين استنبط ما استنبط مما ضاقت حوصلة "الأستاذ"الكاتب عن استقباله، فضلا عن هضمه، كان الله في عونه.

* * *

قال "الأستاذ" الكاتب -بعد أن جدف ما وسعه التجديف وما أسعفه بعد انحراف الفهم وتحريف المفاهيم في معنى كلمة التنازل إذا وردت في مجرى المفاوضات السياسية و في مدى انطباقها أو عدمه على موقف رسول الله ﷺ من إصرار سفارة قريش على إبدال جملة "باسم الله الرحمان الرحيم"بجملة "باسمك اللهم" وجملة "محمد رسول الله"بجملة "محمد بن عبد الله"-:(فلما لا يكون مايدعوه وزير الأحباس بالتنازلات، مجرد خدعة؟ أو لا تقوم المواجهة بين الخصوم على الخداع في حالتي الحرب والسلام؟ أو لم يكن المكر جائزا إلى حد أن الله -عز وجل- يقول: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾؟ أو لم يقل جلت قدرته : ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ إلخ...

ونجيب "الأستاذ" الكاتب عن هذه التساؤلات بجوابين اثنين، الأول، أن التنازل المتبادل بين فريقين متفاوضين أو من أحدهما وحده للآخر، لايعني -بالضرورة- أنه صادر من موقع ضعف فيهما أو في المتنازل منهما، فالمفاوضات لا تعني الإلزام من أحد الطرفين للآخر، وإنما تعني التجاوب مع مقتضيات التراضي بين المتفاوضين. وقد يتنازل الأقوى للضعيف إذا رأى مصلحة له في نجاح المفاوضات وعواقبها، وقد يتنازل الضعيف للأقوى إذا وجد منه استعدادا لمساعدته على حفظ كرامته ظاهريا، وقد يتبادلان التنازلات، كل منهما لمصلحة يراها في التنازل للآخر. ونضرب مثلا لـ"الأستاذ: الكاتب لعله يعينه على أبسط مراتب الفهم للتعامل السياسي : فالولايات المتحدة الأمريكية، هي في هذا العهد أعظم قوة في العالم -وتستطيع إن شاءت -أن تفرض إرادتها كاملة على كل من تريد، لكنها حين تفاوض دولة أو كتلة من الدول، لا مناص لها من تبادل من تفاوضه التنازلات، وهي الأقوى.ومن تفاوضه دولة أو كتلة، يمكن أن تمحقه بقنبلة نووية واحدة. فإذا بادلته التنازلات فلمصلحة رأتها في ذلك، يعلو اعتبارها عن أي اعتبار للقوة أو للمركز الأقوى، وإذا اضطرها من يفاوضها إلى التنازل، فلأنه يدرك أن القوة، وحدها، ليست هي الحكم في التعامل بين الخصمين المتفاوضين، فقد تبطش القوة وتنتصر نتيجة للبطش، ولكنها تخسر في المدى المتوسط أو البعيد، نتيجة للغطرسة أضعاف ما كسبته نتيجة للبطش.ورسول الله ﷺ يحمل رسالة الإسلام ويدعو إليها، وهي رسالة قائمة، أساسا، على السلام وعلى الإقناع وعلى أن السلوك الفردي والجماعي، هو الوسيلة المثلى للإقناع ولإقرار السلام، ولا سبيل إلى جعل وسيلة السلوك واضحة للخصم، بينة الطبيعة والآثار والمقاصد، إلا بإقرار حالة من السلم تيسر أسباب التواصل والتعايش معه، وتنازله في الصيغ اللفظية، أو حتى في بعض الأساليب التي تيسر التعامل والتواصل، ليس إقرارا بالضعف، وإنما هو تصرف من مركز القوة لتحقيق ما هو أهم بكثير من مجرد إجبار الخصم على قبول صيغة لفظية أو طريقة من التعامل. وآية ذلك، ما ذكره "الأستاذ"الكاتب نفسه أثناء تجديفه في هذا المجال -نقلا عن ابن إسحاق أو عن الواقدي على الأرجح- من قول رسول الله ﷺ بعد أن أمر عليا (ض) بمحو الجملة التي رفضها سهيل بن عمرو، فلما رأى منه الهيبة من محوها، محاها بيده الكريمة-:(أنا والله رسول الله وإن كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله).

والتكييف السياسي للموقف، هو أن سفارة قريش-وهي تفاوض رسول الله،صلى الله عليه وآله وسلم- أعلنت اعترافها حين بدأت في التفاوض، ثم حين وافقت على كتابة وثيقة الصلح بوجود مفاوض شرعي له كيانه السياسي والعسكري، لكنها رفضت أن تعترف لهذا المفاوض وكيانه بصيغة الرسالة الإلاهية ومقتضياتها، وهذا ما يشبه ما تواضع الناس، اليوم، على تسميته ب "الاعتراف بالأمر الواقع" و "عدم الاعتراف بشرعيته"، وتلك درجة قد تؤدي إلى الاعتراف الكامل، انتزعها رسول الله ﷺ من قريش لأول مرة، فلم يسبق لهم أن فاوضوه على هذا الشكل، ولقاءها قبل تأجيل اعترافهم الشرعي إلى حين، لأنه يدرك أن نتيجة المهادنة التي تقررها الوثيقة، تيسر أسباب التعامل والتواصل مع قريش ومن يظاهرها من العرب. ومن شأن ذلك أن يستدرج قريشا أو من معها أو جانبا منهم من العرب إلى الاعتراف الشرعي الكامل بالرسالة ومقتضياتها، فإن استنكفت قريش، فرضت على نفسها العزلة،فاستفردها في حرب مقبلة بعد انتهاء الهدنة التي يسرت أسباب تعزيز الكيان الإسلامي بمن ينضم إليه إيمانا او تحالفا ممن كانوا ظهيرا لقريش وكانوا حربا على رسول الله ﷺ والكيان الإسلامي.

ونكاد نجزم أن رسول الله ﷺ حين قبل بهذا التنازل -ونصر على تسميته تنازلا- كان يستحضر في ذهنه الشريف ذكرى من استجاش مع قريش من يهود وعرب في غزوة الأحزاب في السنة السابقة، وكيف أنه اضطر في بعض أيام تلك الغزوة إلى أن يفكر في مفاوضة بعض من استجاش مع قريش على جانب من تمر المدينة، وكاد يعقد الصفقة لولا أن قادة الأنصار رفضوا قبولها لما علموا أنها ليست بأمر من الله، وإنما هي اجتهاد منه ﷺ

ومن سذاجة الاطفال الأغبياء، اعتبار هذا النوع من التعامل مع المفاوض، مماكرة أو مخادعة أو مكايدة.

ومن تحريف معاني كتاب الله العزيز، محاولة اعتبار قوله-سبحانه وتعالى- في سورة الأنفال|الآية:30: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾، وقوله في سورة النساء|الآية:142 ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾، وقوله في سورة الطارق| الآيتان15-16: ﴿إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا﴾.فما من واحدة من هذه الآيات الثلاث، لها علاقة وإن من بعيد، بالتعامل بين المتفاوضين. ففي آية الأنفال، كانت المماكرة بين الله-سبحانه وتعالى-وبين قريش الذين يكيدون لرسول الله ﷺ ويأتمرون عليه ليحبسوه عن الحركة ويمنعوه من الاتصال بأحد ومن تبليغ دعوته أو يقتلوه أو يخرجوه. وجلي أن إسناد المكر إلى الله -سبحانه وتعالى- وإسناد الكيد أو الخداع، إنما هو للمقابلة الشكلية، فالمكر والخداع والكيد، إنما يكونون ممن يخشى من يماكره أو يخادعه أو يكايده، والله -سبحانه وتعالى-القاهر فوق كل شيء لايخشى شيئا، فكيف يخشى من عباده من يماكره أو يخادعه أو يكايده، لكن التعبير عن مطابقة العقوبة للجريمة تعبيرا بليغا يراد به تبيان العدل والإنصاف في العقوبة، اقتضى تسمية العقوبة باسم الجريمة، فالمكر والخداع والكيد جرائم واجهها الله -سبحانه وتعالى- بالعقاب العادل وبالإبطال لمفعولها، فناسب التعبير عن هذه المواجهة بنفس الوصف التي تتصف به الجريمة أو الإسم الذي تسمى بها، وهذا من دقائق الإعجاز البياني للقرآن الكريم التي قد نكون مسرفين في التجني على الأستاذ الكاتب إذا ابتغينا عنده إدراكها.

ويظهر أن "الأستاذ"الكاتب ذهب إلى أحد معاجم القرآن، يبحث عن مواد :مكر وخدع وأكاد، فلما أرشده إلى هذه الآيات، اهتبلها فرحا بها، دون أن يقرأ ما قبلها وما بعدها ليتدبرها في إطار سياقها.

أما آية المخادعة التي ساقها مستظهرا بها، فأشد فضيحة لمدى غفلة "الأستاذ"الكاتب، إن لم نقل،أيضا، لمدى غبائه، فهي مسبوقة ومعقبة بآيات في المنافقين، وهي نفسها نص على أنها في المنافقين.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ الآية.

فأين العلاقة بين المخادعة والتفاوض في هذه الآية، فهل كان المنافقون يفاوضون الله على إيمانهم، فيتسنى ما تمناه "الأستاذ الكاتب" من جعل المخادعة ذات علاقة ممكنة بالمفاوضة؟

بقيت آية المكايدة، وهي واضحة جلية في أنها في من أنكر البعث.

يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾. فأين السبيل إلى المقارنة بين هذا الإنذار الشديد وبين موقف التصالح بين المتفاوضين؟ وهل كان الله -سبحانه وتعالى- يفاوض الكفار المنكرين للبعث، فيتسنى القول بأنه كان يكايدهم في المفاوضات، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؟

لقد كان لـ "الأستاذ" الكاتب بعض العذر، لو استظهر بحديث : (الحرب خدعة)، وإذن، لكان إظهاره لغبائه أقل مما هو عليه الآن، إذ ينحصر خطؤه في الفهم في أنه لم يستطع التمييز بين ما هو من وسائل الحرب، وبين ما هو من أساليب التفاوض من أجل الصلح، لكن مكر الله شديد بمن أراد له الخذلان.

رد على مقال صدر بجريدة الأحداث المغربية

عدد 493 /2000/5/21/20

وما بعده

تحت عنوان: الدرس الرمضاني لوزير الأوقاف فتح عظيم، أم توجيهات في التنازلات لـ جار الله محمد،

صفحة الأسرة

أطفالنا، أية مسؤولية؟

الأستاذة
نجيبة أغرابي

لقد عني الإسلام بالطفل وهو جنين في بطن أمه قبل أن يولد، لما لمرحلة الحمل من آثار مباشرة على الطفل وعلى نفسيته، ولما له، أيضا، من حقوق مستقلة عن أمه. فالاسلام، مثلا، لم يجز لإقامة الحد على المرأة القاتلة أو الزانية حتى تضع حفاظا على الجنين. كما أجاز إفطار الحامل إن خيف على تضرر الحمل. وإذا ولد الطفل فله حقوق أولها الرضاع، هذا الحق الذي يجب على الامهات أن ينتبهن جيدا إلى العواقب الوخيمة المترتبة على إهماله...ابتداء من التدهور الصحي إلى توتر العلاقة العاطفية التي تربط بين الأم والطفل. فأول مراحل التربية تبدأ مع الرضاع. إذ يتأتى للأم أن يكون لها جلسات تربوية مع طفلها وهي ترضعه بكل اطمئنان، ويحس وهو يضع رأسه على صدرها بحنانها ودفئها اللذان يعتبران شيئا أساسيا لاستواء شخصية الطفل، فقد نصح الأطباء المرأة حتى وإن تعذر عليها إرضاع طفلها الرضاعة الطبيعية لأي سبب من الأسباب، أن تقوم على الأقل بإرضاعه، عوض أي مكان وأن تضع رأسه على صدرها لتمنحه الأمان وليحس بها وهي إلى جانبه. فالإسلام حث الأم على الرضاع حتى وهي في حالة الطلاق لقول الله تعالى: في سورة البقرة: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس إلا وسعها – الآية:231. فإلى جانب رعاية الأم لابد للأب أن ينفق على الطفل وأن يرعاه ويلاعبه ويداعبه. فالطفل قد أتي من القوة والحركة ما يجب على الآباء توجيهها لما فيه خيره. فلا يجب على الآباء أن يقمعوا حركة الأطفال، وإنما يجب أن يساعدوهم وأن يستخدموا جميع الوسائل من خلال اللعب معهم لتنمية الحس الأخلاقي والنفسي والديني لديهم. هكذا كان الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، يداعب الحسن والحسين وهو يصلي وهو ساجد بين يدي ربه فأطال السجود حتى ظن الصحابة ماظنوا ثم قام من سجدته وأكمل الصلاة وسلم فسألوه: يارسول الله أطلت بنا السجود حتى ظننا ما ظننا، فقال لهم : إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله– ابني– أي حفيدي اتخذني راحلة. وكان فرحا بذلك فتركه الرسول يستمتع بتلك اللحظة ولم يرد أن يقطع عليه متعته. هكذا كان، عليه الصلاة والسلام. ودخل عليه بعض الصحابة والحسن والحسين يركبانه فقال الصحابي الذي دخل بيت الرسول، صلى الله عليه وسلم، : نعم المركب ركبتما. فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، : ونعم الفرسان هما. ولنا في رسول الله أسوة حسنة. فعلى الآباء أن يلاطفوا الأطفال ويحسسوهم بأن لهم شخصية مستقلة، ويوضحوا لهم القيم الأخلاقية ويحثوهم على التحلي بها. فبعض الاباء، اليوم، لا يرى أطفاله إلا وهم نيام في الليل ظانين أن مهمتهم تنتهي عند المأكل والمشرب والملبس والمسكن المريح. إن الرسول،صلى الله عليه وسلم، حين قال: الرجل في أهل بيته راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها... يقصد به الجانب المعنوي أكثر من الجانب المادي، فالرعاية لا تقتضي الماديات فحسب، فلابد من الرعاية المباشرة للأطفال. يجب أن لا نسلم فلذات أكبادنا لأي كان لتربيتهم، إنها أمانة وسنسأل عليها أمام الله تعالى يوم القيامة. إن الآباء هم صانعي سلوك الأطفال فإن كانوا صالحين فمن الله ومنهم وإن كانوا فاسدين فمنهم أولا، مصداقا لقوله، صلى الله عليه وسلم، : كل مولود يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. وليكن، دائما، نصب أعيننا قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾. سورة التحريم /الآية:6 صدق الله العظيم.

حديث شريف

– عن جابر بن عبد الله أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل. قال: فخطبت جارية، فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها. وتزوجتها». –رواه أبو داوود في. كتاب النكاح. باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها. حديث رقم 1832.

إصدارات ـ إصدارات ـ إصدارات ـ إصدارات ـ إصدارات

صدر عن مطبعة فضالة / المحمدية :

*) كتاب «**ببليوغرافيا النص الشعري بالمجلات المغربية** : 1957 – 1998» للأستاذ السعيد بنفرحي، بتقديم الأستاذ الباحث الناقد الدكتور إدريس نقوري. ويرصد الكتاب النص الشعري في 31 مجلة متنوعة الاتجاهات والاهتمامات والتخصصات، فمنها المجلة الثقافية كدعوة الحق والمناهل والثقافة المغربية والزمان المغربي... ومنها المجلة المتخصصة كالمشكاة وأقلام وافاق والكلمة... كما يرصد الكتاب نصوصا لمختلف الشعراء أمثال إبراهيم السولامي وأبي بكر اللمتوني وأبي بكر المريني وأحمد البراء الأميري وأحمد المعداوي وحسن الأمراني ومحمد الحلوي وبنسالم الدمناتي وحكمت صالح وشفيق جبري وعبد اللطيف خالص ومحمد الحبيب الفرقاني...

يقع الكتاب في وينقسم قسمين: الأول رتبت فيه النصوص حسب المجلات، ولم يراع المؤلف في متابعة المجلات أي ترتيب، على الرغم من أنه راعى التسلسل الزمني للنصوص في كل مجلة. والثاني رتبت فيه حسب الشعراء، وقد رتب المؤلف الشعراء على الحروف الأبجدية.

والكتاب في 348 صفحة من القطع العادي.

*) كتاب «**مدخل لدراسة الفقه الإسلامي**» للأستاذ محمد محجوبي.

يقع الكتاب في 272 صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على مقدمة وفصلين اثنين :

أما المقدمة ففي التعريف بالشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي وبيان خصائصهما والمبادئ الأساسية في النظام القانوني في الشريعة الإسلامية، ثم تفصيل الحقوق الخاصة والعامة في الإسلام.

وأما الفصل الأول ففي نشأة التشريع الإسلامي، ويتناول التشريع في عصر الرسول ﷺ ومصادره.

وأما الفصل الثاني فيتناول التطور التاريخي للفقه الإسلامي، ويتحدث عن مراحل التشريع الإسلامي في مختلف عصوره، مع وقوف مطول ومفصل عند المذاهب الفقهية، وعند ركود الفقه الإسلامي في عصر التقليد ومظاهر ذلك الركود، لينتهي البحث إلى نشأة حركة التقنين، والاتجاه نحو القانون الفرنسي الذي عوض به الفقه الإسلامي.

حول مشروع إدماج المرأة في التنمية:
رأي بنبرة هادئة!

الدكتور :
التهامي محمد الوكيلي

أؤكد في البدء أنني لا أقبل أن يكفّر أحدنا الآخر مهما حدث من الخلاف، ومهما اقتنع أحدنا بخروج الآخر عن الجادة وعن المحجة البيضاء. ذلك أن ناطق الشهادتين يكفيه ذلك ليعصم ذاته ودمه ومتاعه وماله وعرضه من المساس، ويعصم نفسه بالأحرى من الكفر. لا أقبل أن يكفّر مسلم مسلما، ولكن، هناك حدود ينبغي لكل الأطراف، أعني أطراف النقاش الدائر حول موضوع العنوان أعلاه، أن يلتزم بها، وأن يعلم ذلك الكل أن امتلاك الحقيقة ليس في إمكان أحد مهما بلغ إعجابه بنفسه وتزكيته لحصيلته من العلم والمعرفة ومكسبه من بعد النظر ورجاحة العقل. إن هذا ليحيلنا، أردنا ذلك أو أبيناه، على فضاءات الحوار الهادئ الرصين المشبع بروح المسؤولية، إذ كل ما يقوله القائلون في هذه المواقف محسوب عليهم إلى يوم القيامة، ومساءلون عنه ساعة لا ينفع المرء مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ولا غرو في ذلك، ففي هذا الموقف وعلى جوانبه يتعلق مصير أمة برمتها، وأجيال كاملة ذكورا وإناثا، وعلى الأقل، يتعلق مآل مرحلة معينة من مراحل العمر والزمن المغربيين إلى إشعار آخر. من داخل ذلك الفضاء الهادئ والمشمول بدواعي السكينة والطمأنينة. أود أن أقول كلمة يسيرة حول موضوع الخطة المعلومة لكن، أود قبل ذلك أن أبدأ من البداية، وهو الأسلم والأصوب، فأطرح السؤال حول السبب الأساسي لقيام فرق بين الرجل والمرأة منذ آلاف السنين، وهو الفرق الذي ظل على امتداد الحقب يتراوح بين البون الشاسع -فترة الجاهلية العربية نموذجا- والفتق الضئيل أو قيد الأنملة - الواقع اليومي لذكور وإناث الغرب منذ أواسط القرن العشرين إلى اليوم- والذي ينادي البعض، اليوم، بإلغائه هكذا، وبجرة قلم، ويتفنن ذلك البعض في إيجاد التبريرات وفبركتها، إذا لم توجد أصلا، بما فيها الشطحات العلمية التي يجود بها بين الحين والآخر فكر أحد نابغينا في علم الاجتماع، والشقشقات الأخرى التي تطل بين الفينة والأخرى من ضبابية الشاشة الصغيرة أو من بين سطور مقالات هائمة ولكنها مصاغة بتأن مريب، يريد أصحابها، أو صاحباتها، أن يوهمونا أن هناك حربا ضروسا توشك أن تقع بين معسكرين يهيمن عليهما العداء والعدوانية، أحدهما يدعو إلى تحرر المرأة من نير قبضة الرجل تحررا يستمد كل مرجعياته من الغرب والفكر الغربي، وثانيهما يرفع شعار «الرجل أولا وأخيرا» ويستعمل داعي الدين ويستغله في دعم أطروحاته. إن الساحة المغربية، ساحة الفكر والحوار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، لم تعرف، قط، ولن تعرف مثل هذا المشهد الغريب الذي تريد بعض الكتابات والتصريحات أن توهمنا به. فكل المغاربة المسلمين مؤمن برسالة الإسلام كتابا، وسنة، وأخبارا، وآثارا، وعقلا ونقلا وإجماعا، مع إيمانهم بضرورة فتح أبواب أكثر إشراعا للاجتهاد. ولكنه الاجتهاد الذي يحترم الثوابت ويلتزم بعدم تعليق النص أو الخروج عليه مهما تمرغ في بحبوحة التأويل والاستقراء والاستبطان. إن المنادين والمناديات في بلادنا بضرورة إدماج المرأة في التنمية إنما هم كل الفرقاء المساهمين في هذا النقاش الدائر، بلا استثناء، وإنما الخلاف قائم حول أمر آخر مختلف، تماما، ولكنه على علاقة مباشرة في بعض جوانبه وغير مباشرة في جوانب أخرى مع موضوع الإدماج، هو قوام مدونة الأحوال الشخصية. وحتى لا تتوه بين كل هذا الزخم من الأسئلة والعلاقات، نبدأ بالإجابة على تساؤلنا الأول : إذا كان هناك فرق بين الرجل والمرأة مهما قل شأنه، لفائدة الرجل، فما هو سبب نشأة ذلك الفرق؟. وهنا، ينبغي أن نسلم، جميعا، بأن الأمر لا علاقة له، بتاتا، بالجنس إن كان مذكرا أو مؤنثا، ولا بمسألة الحمل والوضع والرضاعة والتربية الأولى، فهذه، جميعا، مجرد نتائج تأتي في الدرجة الثانية، وإنما الأمر له علاقة بحقيقة لا يد للإنسان فيها بتاتا، ولا رأي ولا خيار، ألا وهي حقيقة الخلقة الأولى للإنسان، أو بالأحرى، لأب البشرية آدم عليه السلام، سيقول قائل، أو قائلة : ها هو سيدخل بنا إلى متاهات الفلسفة، أو أي شيء من هذا القبيل ولكن الأمر لا علاقة له بالفلسفة ولا بالفكر الفلسفي، وإنما علاقته حتما بأساس الخلق، وأساس الخلق لا نجد له مرجعا إلا في الدين، وفي كتاب الله العزيز بالتحديد. إن الإنسان في أول خلقة كان في أحسن تقويم، أي كان كيانا كاملا ليس فيه نقص، وبالتالي، لا يحتاج إلى ما أو من يكمله، إذ كان آدم وحدة واحدة يندمج فيها عنصرا الذكورة والأنوثة، وذاك هو الإنسان الخليفة الذي أراد الحق، عز وجل، أن يجعله ظلا له في الوجود الدنيوي الكثيف الذي يعبر عنه بمصطلح الأرض. ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد حدث أن انفصل عن هذا الكيان المتكامل كيان آخر بطريق التحول والجعل -وجعلنا منها زوجها- فصار هذا الكيان جزءا ناقصا من الكيان الأول، ومشتملا على كل ما يجعله يتبادل ليس، فقط، الإحساس بالاحتياج مع الطرف الأول بل يتبادل معه حقيقة هذا الاحتياج بكل ما تومئ إليه كلمة :حقيقة، من معنى، وبطبيعة الحال، وهنا مربط القرس، فإن هذا الانفصال لم يكن في شكل انقسام إلى وحدتين، أي انقسام لآدم إلى آدمين أحدهما مذكر والثاني مؤنث، وإنما هو تحول للعناصر المؤنثة في آدم الأول إلى وجود منفصل ومستقل شخصته زوج آدم. لنفهم، إذن، هذا الطرح، ولنجلي اللبس الماثل فيه منذ أول وهلة :- إن آدم لو كان قد انقسم إلى قسمين متساويين لكان ذلك إيذانا بتحقق مبدأ المساواة في كل شيء بلا استثناء بين الطرفين.- وإن هذه القسمة لو كانت قد تمت على هذا المنوال لكان هناك، دائما، فضل للكيان الأول من حيث سبقه إلى الوجود، واستئثاره لزمن يعلمه الحق، عز وجل، بعناية الخالق،سبحانه وتعالى، باعتباره الخليفة المطلوب. وهذا من شأنه حتى في حالة ورود القسمة المتساوية والمتماثلة أن يمنع وقوع التساوي المطلق، ويفرض بالتالي وجود فوارق في جوانب معينة لا قبل لنا بها لأن الأمر غير وارد مادامت تلك القسمة لم تحدث!. إن الانفصال الذي وقع فعلا، بواسطة التحول-الجعل- اتجه نحو وجهة معينة وهدف محدد، ألا وهو تمكين آدم، الكيان الأقدم والمنذور للخلافة، من أنيس يسكن إليه، ويتبادل معه المودة والرحمة، وبعد النزول إلى درك الحياة الأرضية، تحول هذا الأنيس الحبيب، فضلا عن كل هذه المعاني الجميلة المشبعة بالحب والود والتجاذب، إلى وعاء لحمل بذور الخلافة، التي شاء لها الحق،عز وجل، بعدئذ أن تسير على نهج التناسل والتعاقب.- إن هذه الحقيقة، حقيقة الانفصال، ودواعيه، وما ترتب عنها من جعل المصدر المانح النسل في صلب آدم، والإناء المستقبل والحاضن في رحم زوجه، هي عينها التي نتج عنها التوزيع الطبيعي، الأرضي، لأعباء الحياة حقوقا وواجبات على السواء، وهذا ما حرص الدين على تأكيده وتكريسه بجعله الرجل والمرأة متساويين في كل شيء باستثناء أمور قليلة، بل جد قليلة، ورد نعتها في كتاب الله بلفظ «درجة»، وهذا لفظ يدل على اليسر والضآلة والهون، ولكنه، في الوقت ذاته، يدل على مبدأ التفوق، ولو التفوق البالغ أكبر درجات اليسر والصغر لفائدة الرجل بإزاء المرأة. ولو أننا قسنا هذا الأمر من باب تكريس مطلب وحدة القيادة، لوجدنا أن المساواة المطلقة لا يجوز بداهة أن تتم بين آدم وزوجه لأنه خوطب قبلها في شأن الخلافة، ولأنه طولب بالنص الثابت باحتضانها وتوجيهها وجعلها تسير معه جنبا إلى جنب لحمل تلك الأمانة العاتية. ولا اعتقد أن فينا- ذكورا وإناثا- من يقول بإمكان وجود قائدين لنفس السفينة، هذا، بغض النظر عن الفروق الطبيعية، الجسمانية وغيرها، والتي نفضل هنا أن نضعها في درجة أدنى باعتبارها مجرد نتائج لاحقة مقارنة مع ما نحن بصدد طرحه حول الخلقة الأولى. لا أعتقد أنني بحاجة إلى استظهار الآيات القرآنية التي تؤكد على وجود ذلك الفرق اليسير لفائدة الرجل، ولكنني في أمس الحاجة، وقد انتهيت من الإجابة عن ذلك التساؤل الأول، إلى التأكيد على أن بعض التعديلات المقترحة على مدونة الأحوال الشخصية، في إطار الحديث عن خطة إدماج المرأة في التنمية، يذهب إلى إلغاء ذلك الفرق اليسير، ويميل إلى تكريس قيادة مزدوجة للكيان المجتمعي بدءا بالأسرة وانتهاءا بالدولة، وينحو أكثر من ذلك، وهذا هو الأخطر والأفدح، نحو تحميل الرجل والمرأة كل منهما إبزاء الآخر مسؤولية كل الاختلالات التي يعرفها مجتمعنا، والتي، لا تعود أبدا،إلى غياب النصوص القانونية، فالنص الديني كتابا وسنة هو أفضل وأمثل نص على الإطلاق، وإنما لغياب التفهم والإحساس بالمسؤولية وغياب الالتزام بتعاليم الإسلام لدى كل من الرجل والمرأة على السواء. وبدلا من العودة إلى هذه النقطة بالذات، للبحث عن الحل، والذي لن نجد، بخصوصه، أفضل من كتاب الله وسنة رسوله، نذهب، أو يذهب بعضنا إلى سنن الغربيين وأنظمتهم فيستمد منها وصفات لا تناسبنا ولن تناسبنا أبدا مهما سبقتنا إليها مجتمعات مسلمة مماثلة، كالمجتمع التونسي أو غيره، ولا تفعل سوى أنها تقربنا أكثر فأكثر من ذلك العبث الاجتماعي والأخلاقي والفراغ العقدي المهيمنين على بلاد الغرب كلها، واللذين لا نفتأ نرى ونسمع ونقرأ عما يرسخانه في تلك البلاد من أسس الفساد والفجور والإباحية، كل ذلك، في ظل مساواة تكاد تكون كلية بين الرجل والمرأة. مساواة تحتكم المرأة في ظلها إلى مزاجها، ونزواتها، وإلى اعتبارات أخرى رجولية، بالمفهوم الذي يمس مطلب الحفاظ على نقاء الأنساب وعلى طهارة الانتماء الأسري وابتعاده عن كل الأوساخ والأدران. أعلم أن فينا من سيصرخ محتجا على هذا التشبيه الوقح، ولكن، أعلم، أيضا، أن ذلك العبث القائم هناك في الغرب، والذي لم تستطع مظاهر الحضارة والتقدم التكنولوجي أن تخفي رزاياه، بدأ، أول ما بدأ، هو الآخر من مظاهرة يسيرة خجولة كانت المرأة الغربية تطالب فيها بالمساواة، وبالحق في طلب الطلاق، وبالحق في اقتسام متاع الزوج بعد ذلك، وفي الاحتفاظ بحق الحضانة حتى وهي تنتقل إلى كنف زوج غيره... إلى غيرها من المطالب اليسيرة ظاهريا، التي نرى بين صفوفنا، اليوم، من يرفع عقيرته بها غير فاحص للأمر من جميع جوانبه، وغير مدرك للمعادلة بكل تفاصيلها... ومتى جهل الحاسب تفاصيل معادلته أو جزء يسير من تفاصيلها فإن حسابه لن يكون بتحصيل الحاصل إلا خاطئا وباطلا بكل المعايير. مرة أخرى، أرفض كل فكرة تدعو إلى تكفير هذا الطرف أو ذاك؛ وأرفض كل دعوة إلى تعليق النص أو إلى «تطويره» أو عصرنته حتى يناسب متطلبات حياة شبيهة بحياة الغرب ونحوه؛ وأخاف كل الخوف على بلادنا من بصر لا يقشع، وبطن لا يشبع، وقلب لا يرجع، مهما أفصحت عنه الأمثلة الفاضحة القادمة إلينا ممن سبقونا إلى تلك المساواة المطلقة، التي لا يكون الاحتكام إلى القضاء في كل حالات الطلاق، واقتسام متاع الزوج بعده بين الطالقين، واحتفاظ المطلقة بحق الحضانة بعد زواج جديد... إلا بداية من بداياتها غير مأمونة العواقب...

■

علم التغذية في الوصف القرآني: المواد النباتية

فضيلة الاستاذ: محمد الفايد

جاء في تصنيف المواد الغذائية من الأصل النباتي في عدة مشاهد من القرآن الكريم وفي مناسبات مختلفة يشمل الوصف العلمي من ناحية ويشمل الشرع من ناحية أخرى، وربما تعني أمورا أكثر بكثير من هذه الأوصاف ولكن لا نفقهها. يصف الخالق أول مايصف من المواد الغذائية النباتية في سورة النحل وهي السورة التي تصف النعم التي خلق الله وصفا علميا دقيقا لتبين للناس أهمية المواد التي اشتملت عليها وفيها كل المواد الغذائية والأشربة وكذلك الشفاء العضوي كما جاء الشفاء الروحي في سورة الاسراء. يقول الخالق في سورة النحل: 10 ـ 11 ﴿هو الذي أنزل من السماء ماءا لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾. تصف هذه الآية الكريمة في شطرها الأول الماء كشراب والذي سنفصله في موضوع الماء ويتبع هذا الوصف ذكر الشجر ومنه شجر فيه تسيمون وهذا النوع من الشجر ليس للأكل وإنما لرعي الأنعام وسيصف الجليل –جل جلاله– أشجار الثمار في هذه الآية نفسها لكن ذكر هذا الشجرهنا واقترانه بالرعي يجعل هذا النوع من الأشجار دون أشجار الثمار وهي حكمة ربانية دقيقة الوصف والتعبير، ورحبة المعنى والتفسير، لكن يجب أن ننتبه الى هذه المعاني ويجب أن نقرأ بطريقة خاصة تجعلنا نبحث في المعنى والتعبير عن الحقيقة التي يريد الله أن ينفعنا بها. وقد يكون هذا الشجر الذي فيه نسيم يعني نرعى أنعامنا من الأشجار التي تنبت في الغابات والجبال والصحاري والتي ترعى عليها وتحتها الحيوانات التي يسام ونعلم أن الماعز يفضل تسلق الشجر للرعي وكذلك الإبل التي تفضل الأشجار المشوكة، على الخصوص، وهي الأشجار التي تنبت في المناطق الجافة وتقاوم الحرارة والجفاف كأشجار الصحاري وأشجار الجبال وكذلك أشجار الصيف.

وفي الشطر الأخير من الآية الكريمة يصنف الله سبحانه وتعالى المواد الغذائية من الأصل النباتي ويبدأ سبحانه بالزرع ثم يذكر الزيتون والنخيل والأعناب ويعمم فيقول ومن كل الثمرات.إن هذا الوصف ليس مذبذب وليس فيه التباس ولاشك بل فيه تدقيق وغاية وحكمة ودلالة كبيرة للكلمة القرآنية وصف الله سبحانه وتعالى الحبوب بالزرع ويشمل الحنطة والقمح والشعير والدرة وكل الأنواع التي تحرث ويأكل منها الإنسان. ووصف الأشجار فخص ذكر ثلاثة أنواع منها لحكمة يعلمها سبحانه. فالزيتون يعتبر من الثمار النفيسة ولم يتوصل العلماء بعد الى أهميته الغذائية إلا ببعض الخصائص التي جعلت الناس يرجعون الى هذه المادة المباركة. وثمار الزيتون تؤكل كثمار بعد تخمرها أو تعصر ليستخرج منها الزيت هذه المادة الغنية الممتازة بعناصرها في الميدان الغذائي ولا زال علم الحمية يكشف كل حين من مزايا هذه الزيت الصحية. وعلاوة على الثمار والزيت فشجرة الزيتون تعتبر، كذلك، من الأشجار الطبية لما تحتوي عليه من مواد طبية تفيد في علاج بعض الأمراض ولا يمكن حصر المزايا التي تشتمل عليها شجرة الزيتون في الميدانين الغذائي والطبي.

أما ذكر النخيل فلأن ثماره كانت، ولازالت، تتسم بالجودة الغذائية المرتفعة من حيث المكونات الغذائية النافعة كالألياف التي تساعد على ترطيب الجهاز الهضمي وهي أحسن علاج للقبط على الإطلاق ويحتوي الثمر على مواد سكرية بنسب عالية وكذلك البروتينات لكن ما يجعل هذه الثمار تحظى بالعناية الربانية ليس دورها الغذائي فحسب وإنما، كذلك، دورها الاستشفائي. فالثمر يحتوي على نسبة عالية من فيتامين A التي تلعب الدور الطلائعي في النظر. وكذلك الفيتامين B الذي يلعب دورا كبيرا في تهدئة الأعصاب وما الى ذلك من العوامل التي تجعل هذه المادة محببة عند الله سبحانه وتعالى ولذلك يذكرها في هذه الآية الكريمة. وقد كان الصحابة (ض) يتناولون الثمر قبل الخروج للجهاد لأنه يساعد على التركيز وقد استعمله الطيارون الأمريكيون أثناء الحرب العالمية الثانية.

وبينت العلوم،مؤخرا، أن الثمر يحتوي على مادة الأوسيطوسين التي تتحكم في انقباض الرحم والتي تسهل الولادة بالنسبة للنساء الحوامل ونجد هذه الحقيقة التي بينتها العلوم في آخر هذا القرن في سورة مريم حيث يقول الباري سبحانه :(وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا).والرطب هو الثمر الطري حال جنيه ويحتوي على أعلى نسب من هذه المواد التي تلعب الدور العلاجي أو الطبي.

وبعد ذكر النخيل يأتي ذكر الأعناب هذا الشجر الذي يعطي العنب ويسمى، كذلك، الكروم وقد يستفيد منه الانسان على المستوى الغذائي. وذكر الأعناب هنا مع النخيل سيمهد لذكر الاشربة التي سيفصلها الله، كذلك بالتدقيق في نفس السورة والتي سنتطرق إليها في موضوع الأشربة. ونرى أن التعبير القرآني يسمو بكثير عن الأوصاف البشرية من حيث النسق وتداخل الكلمات والتعبير. يصف الله سبحانه وتعالى المواد الغذائية النباتية ويخص ثلاثة أشجار وهي الأشجار التي سيذكرها الله سبحانه، كذلك،في موضوع وصف الأشربة كما سنرى فيما بعد لما نصل الى موضوع الأشربة. إن هذا لايكون إلا لمن يحيط بالأشياء إحاطة تامة لاشك فيها ولا يكون ذلك إلا لله العزيز الحكيم.

ونجد، كذلك، في سورة عبس الآيات من 24 إلى 31 قوله عز وجل فيما يخص المواد النباتية حيث يقول: ﴿فلينظر الانسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا﴾. ونرى أن الوصف في هذه الآيات يزيد عن الوصف الأول ويكمله من حيث نجد نفس الأغذية أي الحبوب وهو ما عبر عنه الله هنا بالحبّ والأشجار الاب والقضب والزيتون والنخل ويزيد الوصف هنا فيتطرق الى الفاكهة وجلها من الأشجار بما في ذلك اليابسة والطرية. وقد يستعصي في هذه الآية معنى القضب والأب ولو أن بعض كتب التفسير جاء ببعض البيانات حول اللغة والأحاديث التي تخص اسئلة بعض الصحابة عن معنى هاتين الكلمتين. ونحن بصدد دراسة القرآن دراسة علمية فإننـــا لم نلمس تقريبا من المعنى الذي جاءت به كتب التفسير لأن تفسير الأشياء بالنسبة للأدباء يعني مدى اجتهادهم والمامهم بالبحث اللغوي لكن بالنسبة للعلماء يعني ما يمكنه أن ينفع الناس في حياتهم اليومية واللغة لا تنفع الناس عمليا لكن العلوم قد تسفر عن بعض الأشياء التي تعود بالنفع على البشرية. ولذلك نريد أن نفهم الحكمة التي جاء بها التعبير وما تنطوي عليه من العلوم الحقة التي ربما تفيدنا كثيرا.

وهناك تعابير كثيرة يجب أن تدرس دراسة دقيقة لأهميتها القصوى في تغذية الإنسان. فبما أن التعبير القرآني خص بعض المواد النباتية بالوصف واختارها كمثل فهي من الآيات التي يجب أن نتدبرها ونعرف ماهيتها ومدى قيمتها بالنسبة للإنسان. ومن جملة هذه التعابير نجد قول الباري سبحانه في شأن ما ذكر لكن بتعليل آخر حيث يقول في سورة ق :﴿ونزلنا من السماء ماءا مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد﴾. الآيات من 9 إلى 11.

ولبين أن الوصف الإلهي لا يخطأ شيئا ولايدر تدقيقا فيه صلاح ونفع للبشر و في هذا الصدد نرى قول الجليل في سورة النحل: ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾.

إذا نظرنا الى هذه المواد التي حبانا الله بها وما أكثرها نجد أن القرآن ولو يعمم في ذكر الأشجار والثمار وما الى ذلك نجد أن هناك أشياء أخرى لم تذكر وهي الخضر والأعشاب وبعض النباتات الأخرى. وفي هذه المجموعة يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النحل: الآية13 ﴿ومادرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه﴾ لجمع كل الخضر والفواكه التي تنبت على الأرض. وأشار اليها باللون وفي ذلك حكمة كبيرة لأن هذا اللون يتقيض بالمادة لأنه من خصائصها. فالطماطم تكون حمراء وتظهر حمراء لكن البطيخ الأحمر يكون أخضر أو مخطط ويكون، كذلك، أحمر من الداخل واللفت يكون أبيض والجزر يكون أحمر لكن ليس كالطماطم والخيار أخضر والبادنجان أسود وهكذا كل الأشياء التي درأها الله في الأرض باختلاف ألوانها وأشكالها وباختلاف مذاقها وأهميتها وما إلى ذلك مما رزقنا الله من الطيبات ومن كل خيرات الأرض وما أكثرها وهي موزعة على كل أنحاء الأرض توزيعا دقيقا وفيه من الحكمة ما فيه ولا يمكن حصر كل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان كما قال، عز وجل، في سورة النحل: الآية18 ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم﴾.

تتمات . تتمات . تتمات . تتمات . تتمات . تتمات

تتمة تأملات وخواطر

الطبيعية، العلوم الاجتماعية، علوم اللغة العربية والفنون الجميلة، وشرع هؤلاء العلماء في مزاولة التدريس يوم ثامن فبراير 1939.

إخواني الأعزاء،

إنه لمن الصعب تناول كل ما تميزت به حياة المرحوم الشيخ محمد المكي الناصري وعندما كان يأتي للإذاعة ويصعد إلى الطابق الثاني حيث يوجد الاستوديو خمسة من أجل تسجيل تفسيره -التيسير في أحاديث التفسير- كنت أتساءل: هل يعد الشيخ مفسرا للقرآن،فقط، أو محدثا لامعا في الاذاعة و في التلفزيون، أم صحفيا أم زعيما وطنيا، هل هذا كل ما في جعبته العامرة؟ هذه المواهب كلها أليست برهانا على ان الشيخ كان فريد عصره. ثم ماذا عن موهبة أخرى اكتشفها كثير من العلماء والادباء الباحثين.. هذه الموهبة اثارت انتباه الدارسين يوم وقف أمام شيخه المرحوم المدني بن الحسني بمناسبة ختمه الفية ابن مالك بتاريخ 27 جمادى الثانية 1343 -الموافق 23 يناير 1925 قال فيها:

زين الحلي "مدني" الطبع ليس به
هجر ولا صخب في غاية الحنف
أعني به نخبة الأقران أفضلهم
علما وخلقا وأصلا طيب النطف

ويوم ألقى قصيدته الميمية بمناسبة ختمه مختصر الشيخ خليل في الخامس عشر من شعبان عام 1343 الموافق 11 مارس 1925 قال فيها:

الدين أمثل حبل يربط الأنما
والدين أعظم روح ينشر الرمما
والدين ذو سطوة تقضى الحقوق بها
ويستقيم بها الحكام والحكما
وأمام المرحوم الشيخ ابي شعيب الدكالي بمناسبة ختمه سنن ابن ماجة عام 1342. الموافق 1926 ألقى قصيدة هذا مطلعها:
الله لا يرض لأمة أحمد
الا طرائق للعلا والسؤدد
هذا كتاب الله يدعونا الى
سبل الرشاد ونصح كل موحد
هذا كتاب الله قانون العدالة
والمساواة التي لم تجحد
هذا كتاب الله مصباح الهدى
لا نستضيء به إذا لم يوقد

ومن قصائده الهادفة الى نصح الشباب وبعث الحماسة في نفوسهم ليحققوا العزة والكرامة لوطنهم الغالي... قصيدة نشرتها جريدة الشباب الجزائرية ألقاها في شباب الامة بتاريخ 26 شعبان 1345 الموافق أول مارس سنة 1927هـ،جاء فيها:

شباب الأمة اطرحوا المناما
وسيروا بين قومكم أماما
فليس يضيركم ما قد لقيتم
إذا كنتم لأمتكم قواما

ويوم كان يتابع دراسته في مصر احس بالشوق إلى وطنه فهاجت نفسه الشاعرة:

أنا في مصر وقلبي
أبدا ثم مقيم
إن يهم بالنيل قوم
فبوديانى أهيم

ومن أناشيده التي كنا نحفظها ونحن في المدرسة الأهلية بتطوان هذا النشيد الوطني المشهور:

فؤادي إلى وطني قد صبا
تعشقته منذ طور الصبا
وديني في حبه رغبا
فياوطني عنك لن أرغبا
ويا وطني لا تخف أن أمين
وأخلف وعدك إني أمين
كفيل بنيل مناك، ضمين
حياة بلادي حياة فؤادي
علاها على الكون أقصى مرادي
سأخدم في مبدئي ومعادي
وفاء بعهدي نحو بلادي
كفيل بنيل مناك، ضمين

إخواني:

كان الشيخ محمد المكي الناصري فلتة من فلتات الزمان، جاهد و كافح وربى أجيالا، ومن الصعب علي ان أحيط بكل ما يختلج في نفسي عن حياته وسيرته وعطاءاته وابداعاته، لكني فقط..اكتفي بهذه الشذرات عنه، كما لو انني داخل بستان اقتطف من شجاره اليانعة كل مالذ وطاب من معارف وحكم... والسلام عليكم ورحمة الله.

تتمة الالتزام وأثره...

الإسلامي جميع القضايا التي تشغل بال الأمة الإسلامية كيفما كانت طبيعتها، لأن الأدب لا يتنافى مع طبائع الناس ولا يتضارب مع الفطر التي فطر الله عليها الناس ويقر بالغرائز التي خلق الله عليها الحياة والناس، وذلك كله لا يتعارض مع مبدأ الالتزام، فالأدب الإسلامي يتناول من القضايا والموضوعات ما يتصل بجميع جوانب الحياة الإنسانية، ويمكن تصنيف هذه الموضوعات على سبيل التبسيط والتبويب إلى الأصناف الكبرى الثلاثة التالية:

1 - الموضوعات التعبدية والإيمانية والدعوية التي تصلح علاقة الناس بربهم أو تردهم إلى أصول عقيدتهم أو تعالج ما ينتشر بينهم من الانحرافات عن الدين القويم أو تدعو إلى محاربة البدع والضلالات والتوهيم...

2 - موضوعات الحياة اليومية العامة كالإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، والبحث عن جوانب توجيهها وترشيدها وتنبيه الناس إلى ما لهم فيها وما عليهم...

3 - الموضوعات الذاتية الموحية والانفعالات الشخصية المليهمة، مثل التعبير عن مشاعر الأبوة أو البنوة أو التأمل في ملكوت الله من مظاهر الطبيعة وجمالها، والكون وإيحاءاته.

تلك قضية الالتزام، وذلك أثر الالتزام في الأدب والأديب والمنهج والموضوع.

الهوامش :

*) نشرت سابقا مقالا في ثلاث حلقات حول : «سمات الأدب الإسلامي» تركز الحديث فيه على ثلاث سمات هامة من سمات هذا الأدب وهي : الحق، والخير، والجمال : انظر الأعداد التالية من مجلة «الإرشاد»، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط :

- ع 4 س 20 : رجب 1409 | فبراير 1989 ص : 44 - 46.
- ع 6 س 20 : رمضان 1409 | أبريل 1989 ص : 40 - 45.
- ع 8 س 20 : ذو الحجة 1409 | يوليوز 1989 ص : 57 - 59.

1) انظر : روز غريب، النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ص : 23 وما بعدها.

2) انظر «سمات الأدب الإسلامي» : مجلة الإرشاد، مرجع سابق.

ميثاق الرابطة
لسان رابطة علماء المغرب

جريدة أسبوعية جامعة

*

العدد 920
السنة 33
الجمعة 20
ربيع الأول 1421هـ-
الموافق 23 يونيو 2000م

*

المدير المسؤول :
الحاج أحمد ابن شقرون

*

مدير النشر: إدريس كرم

*

رئيس التحرير :
محمد الخضر الريسوني

*

العنوان: 107 شارع فال ولد عمير. رقم : 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 67.03.51 (07)
الفاكس: 67.03.51 (07)

*

الثمن : 3 دراهم

*

الاشتراكات السنوية داخل المغرب : مائة وخمسون درهما.
الحساب البنكي : 25201015549.01 وكالة بنك الوفاء- حي أكدال- الرباط

*

رقم الإيداع القانوني :
1994 / 160
الترقيم الدولي : ISSN : 4348

*

تصفيف وإخراج وسحب:
مطبعة فضالة- المحمدية
المغرب

*

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية وتعبر عن آراء أصحابها

إعلان

تعتزم جريدة ميثاق الرابطة إصدار عدد خاص بمناسبة عيد العرش المجيد حول نظام الحكم في الإسلام، لذلك ترجو الجريدة من السادة العلماء والباحثين إرسال مساهماتهم إلى عنوانها قبل نهاية شهر يونيو الجاري.

تأملات و خواطر

كيف تعرفت على المرحوم الشيخ محمد المكي الناصري؟

محمد الخضر الريسوني

في تطوان وأنا طفل أدرس في المدرسة الأهلية الابتدائية القريبة من الباب الاثرية المعروفة بباب العقلة وفي أواسط الثلاثينيات..جاءني والدي ذات مساء ليفاجئني قائلا:

اليوم، ستصحبني إلى «الجامع الكبير» للاستماع إلى عالم كبير جاء من المنطقة السلطانية...

وتساءلت مع نفسي بفضول: من يكون هذا العالم الذي أعجب به والدي؟

وفي الموعد المحدد.. حضرت إلى المسجد رفقة الوالد...وآلاف المدعوين، يملؤون رحابه.

وخيم الصمت المطبق خلال لحظة الانتظار ثم سرعان ما سرت همهمة بين الجماهير المحتشدة والجميع يتساءلون:

من يكون...؟ من العالم؟

وما هي إلا لحظات...حتى طلع بوجهه المتفائل المشرق، وقامته الرفيعة، وخطواته الثابتة، دخل من الباب الخلفية للجامع تجنبا واحتراما للمؤمنين. ورفعت رأسي الصغير من خلف ظهر أبي لأتملى بالنظر اليه....

ثم استوى جالسا على الكرسي..وألقى السلام على الجمهور المتعطش لعلمه...

وكانت المناسبة الذكرى التاسعة لاقدام الاستعمار الفرنسي على تنفيذ سياسته العنصرية الهادفة إلى فصل جزء كبير من سكان المغرب عن أشقائهم وتجريدهم من الانتساب إلى أمة الاسلام وهي الذكرى التي كان يحييها المغاربة في المساجد في اليوم السادس عشر من شهر ماي في كل عام.

كان الشيخ صادقا في لهجته و هو يندد بالسياسة العنصرية للاستعمار، وتميز بصفاء بيانه وفصاحة لسانه واتساع معارفه.

ومن المؤلم ومن سخرية الزمن، وبعد التنديد في الثلاثينيات بالعنصرية التي غرس الاستعمار جذورها في المغرب بين سكانه المسلمين نسمع، اليوم، أصواتا تتردد بين فئات من المواطنين داعية الى نفس ما كان ينادي به الاستعمار من عداء للغة القرآن، بل ان هذه الاصوات تنادي جهارا للاجهاز على اللغة العربية بالكامل وتهميشها في المعاهد والمدارس، وفي الجامعات وفي الادارات....

وخرجت من "الجامع الكبير" وانا مبهور بما سمعت من الشيخ رحمه الله... ومنذئذ شرعت برغم حداثتي في تتبع مقالاته واحاديثه التي كان يكتبها في جريدة، الوحدة المغربية، كما تتبعت من خلال ما كان يحدثني به والدي عن انشطته وانجازاته العلمية والثقافية، فلقد أسس احدى المعالم الثقافية على الطريقة الحديثة، وهكذا فتح (معهد مولاي المهدي) في فبراير في سنة 1937. أبوابه امام الطلبة الذين أتى اكثرهم من المعاهد الدينية، وافتتح مدير المعهد بنفسه أولى الدروس في مادتي النحو والأدب، فدرس ألفية الامام محمد بن مالك الجياني بشرح العلامة الاشموني وتعليقات العلامة الصبان، ودرس الادب بكتاب تاريخ الادب العربي للاستاذ احمد حسن الزيات.

وفي ظهير تأسيس المعهد جاءت فقرة محددة لأهداف المعهد في مجالات العلم والثقافة:

ان المعهد يكون حريصا على التبادل الثقافي وضابط اتصال بمراكز البحث والدراسات العربية في اسبانيا وبلدان أخرى رحلات علمية جماعية أو فردية.

و لم يلبث الشيخ ان سافر الى مصر من أجل تأسيس "بيت المغرب"

وبعد عودته الظافرة زف إلى الطلبة بشرى تهيىء بعثة علمية الى أرض الكنانة، وكان موعد سفر اثنين وأربعين طالبا صباح يوم 10 شتنبر من سنة 1938، و في استقبال الطلبة بالقاهرة كان حاضرا الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر والشيخ الخضر حسنين رئيس جمعية الهداية والاستاذ احمد أمين والدكتور زكي مبارك والاستاذ الشهيد سيد قطب، و قد فتحت البعثة العلمية المغربيةفرصة تحققت فيها عمليا المشاركة الثقافية بين مصر والمغرب بارسال بعثة تتكون من اساتذة وعلماء مصريين إلى معهد "مولاي المهدي" ليساهموا في تدريس الطلبة مختلف العلوم.. العلوم

البقية بالصفحة 11

الالتزام وأثره في الأدب : منهجا وقضية *

فضيلة الأستاذ: رضوان ابن شقرون

إن المتتبع للنصوص والدراسات الأدبية لدى المبدعين والنقاد والدارسين المتقدمين والمعاصرين يتبين أن الأدب تكون في رحم الالتزام ونشأ في حضنه وترعرع بين حقائقه وضوابطه. إلا أن هناك فرقا بينا بين «الالتزام» باعتباره شعورا ينبع من الداخل وسلوكا ينجم عن قناعات ذاتية فيتفجر الإبداع الأدبي مشحونا بهذا الشعور التلقائي، وبين «الالتزام» الذي تفرضه قوى خارجية بعيدة عن الذات المبدعة فتحملها على أن تنتج أدبا معدا للاستهلاك اللحظي، ويطلق البعض على هذا النوع مصطلح «الإلزام».

وليس المقصود بالالتزام أن يعيش الأديب في برج عاجي بعيدا عن مؤثرات الحدث وعن هموم الفرد والجماعة، بل لابد أن يتأثر الأديب بروح عصره وبالظروف المحيطة به كما يتأثر بالمكونات الفكرية والحضارية وبالتفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تتشابك خيوطها لتنسج بيئة معينة أو تؤلف منهجا فكريا ونمطا ثقافيا وثابا. ولابد للأدب أن يستفيد أيضا من الدراسات النفسية والأبحاث الفلسفية والمدارس الأدبية والفنية، وأن يفيد كذلك من التجارب الإنسانية الحية والإيجابية.

ومما يؤكد هذا المفهوم المنضبط للالتزام وأهميته في الأدب والفن وفي الحياة العامة للكائن البشري مواقف المفكرين من مختلف الاتجاهات والانتماءات والعصور والأزمنة:

فقد طرد أفلاطون من جمهوريته الفاضلة الشعراء لأنهم، كما يرى، ينشرون الأخلاق السيئة.

ورأى أرسطو أن الفن بطبيعته يجب أن يطهر النفس الإنسانية من العواطف الشريرة والخبيثة.

وألكسندر دوما (Alexandre Dumas) يقول : «إن كل أدب لا يستهدف الكمال والفضيلة والمثالية والفائدة العامة هو أدب عاجز مريض لم يكتب له البقاء».(1)

ولكن لكل أديب دوافعه ومعتقداته التي يلتزم بها وينضبط بضوابطها.

أما الأديب المسلم فمنطلقاته واضحة مستمدة من عقيدة قوية يؤمن بها ويعيش على هديها، ودوافعه بينة نابعة من اقتناع عميق بالحق لأنه الحق، وبالخير لأنه الخير، وبالجمال لأنه الجمال، وأهدافه ليست غريبة ولا غائرة بل هي منشورة على أديم فنه، مفعمة بالحب والحق والخير والجمال، والرغبة في نشر ذلك كله وبثه في النفوس المظلمة أو القلوب المنغلقة أو المشاعر الكئيبة(2) ذلك لأن التزام الأديب المسلم حقيقي نابع من مقومات فكره ومنهج حياته وتوجيهات قلبه، يتفاعل ذلك كله في أعماقه، ويستنشق عبير الحياة من بين تمخضات واقعه، ويفرز عليه من عوامل شخصيته، فيولد أدبه صادقا في التعبير عن ذاتيته، صريحا في الدلالة على شخصيته، محصنا من الغوائز الهائجة، محميا من الحرية الفوضوية، مبرءا من النزعات الباطلة، رافضا أية ضغوطات برانية أو تأثيرات غير إنسانية.

وما دام الأمر كذلك فلا مجال للتساؤل عن العلاقة بين الالتزام والواقعية، إذ لا تناقض بينهما بل هما في النظر الثاقب وجهان لعملة واحدة، ورئتان لمتنفس واحد، هما ندان لا ينفصلان وصنوان لا يختلفان:

الالتزام انضباط ذاتي بالقناعات المسلم بصلاحها بالقوة وبالفعل، ورفض للتأثير الخارجي والضغط الممارس من أي جهة أو فكر أو منهج...

والواقعية، في الأدب على الأقل، وفي مفهومها السليم، لا الشاذ ولا المنحرف المضلل، هي التعبير الواضح عن الحياة والكون والعواطف والتطلعات الفردية الخاصة أو الجماعية العامة في طبيعتها الإنسانية الفطرية قبل زيفها وفي حقيقتها الراقية المترفعة عن الحيوانية والدونية. والذين يبدعون أدبا مكشوفا أو فاضحا للعورات أو واصفا للشذوذ أو ناشرا للرذيلة بدعوى الواقعية فذلك في الرأي الرشيد والفكر السوي انحراف بالواقعية عن حقيقتها، وزيغ بالأدب عن طبيعته، وتجن على القارىء والمتلقي الذي يبحث في الأدب عن نفسه الإنسانية، وفطرته البريئة.

ومن أثر اقتناع الأديب المسلم بالالتزام منهجا سليما في الأدب فاعلا في القارىء مبلغا لرسالة الأدب، يجد هذا الأديب في الحياة مجالات رحبة وآفاقا واسعة، في الوقت الذي تنحصر فيه جوانب بعض الآداب الأخرى وتضيق بها السبل فلا تجد أمامها إلا ذلك المفهوم الفكري الضيق أو الحزبي المحجم.

إن الأدب الإسلامي ينظر إلى الكون ومعالمه والحياة ومجرياتها والإنسان وطبائعه نظرة نابعة من التصور الرباني السديد الرشيد الهادف إلى تحقيق الخير والسعادة للبشرية، وإجراء الأمور في الكون على وفق الوظائف الأساسية لكل كائن بحسب القاعدة المأخوذة من الحديث الصحيح «كل ميسر لما خلق له»، وهو يعبر بصدق عن همسات النفس وإشراقات الروح وتفاعلات الفكر وتوهجات الانفعال الإنساني بآنات الألم واليأس أو رجرجات الحيرة والتردد أو ذبذبات الانشراح والحبور، وينتصر عبر ذلك كله للقيم الأصيلة الثابتة في عمق منهج الإسلام ومبتغاه الأسمى، ألا وهي الحب والحق والخير والجمال، وينهج في تحقيق ذلك نهج الصدق والوفاء وروعة الأداء، فيخاطب كينونة الإنسان بوصفه ذلك الكائن الفذ المتفرد عقلا وروحا وجسدا. ومن ثم كان الأدب الإسلامي صالحا لكي يتناول الوجود كله والحقائق كلها من خلال النفس المطمئنة المنفتحة على الأكوان المهذبة بنور الإيمان.

ومنذ فجر الإسلام كان الأدب الإسلامي سندا للدعوة ينشرها ويبسط مبادئها، ووسيلة إصلاح يهدي الإنسانية إلى طريق سعادتها ويهاجم ما فسد من أوضاعها ويتصدى لضلالاتها وزيف مذاهبها ويواجه التحديات وما يطرأ على خط سيرها ويهتم بالقضايا المستجدة التي تشغل أبناءها...

ومن السذاجة أن يتصور أحد أن الأدب الإسلامي لا يعدو بفعل الالتزام أن يكون دعوة وخطابة أو وعظا وإرشادا أو حكما ونصائح أو سردا لبطولات المسلمين ومواقف المجاهدين.

إن الأدب الإسلامي في حقيقته يستوعب كل المجالات ويسبر كل القضايا والمحدثات، ويستثمر كل الإمكانات ويشحذ كل الطاقات لتتناول جميع الحقول الإبداعية التي تصلح للتعبير عن الانفعال بالكون والحياة والوجود والإنسان.

والأديب المسلم ليس ملزما بمواضيع معينة ولا مقيدا بأجناس أدبية خاصة، ولا بقضايا فنية ولا فكرية محدودة، ولا بصور تعبيرية مخصوصة، بل إن العبرة في الأدب الإسلامي ليست بطبيعة الموضوع أساسا ولا بالشكل التعبيري مظهرا، مع ما لذلك من حضور في ذهن الأديب وحساب يحسبه له، وإنما العبرة في الأدب الإسلامي بالمضمون وما يحمله الأدب من روح شفافة، ورؤية شمولية، وصدق في التفكير

البقية بالصفحة 11